

مكتبة الشعراوي الإسلامية

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

الشیطان والإنسان

مكتبة الشيخ

محمد متولي الشعراوي

رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
 سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَمْرَهُ تَكُونُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ
 الَّتِي مَنَعَهُ رَحِمَهُ مَلَّتِي خَلُوهُ عَلَى
 مُرَبِّهِ الْهَدْيِ وَنَفْسِ الْهَدْيِ الْهَدْيِ الْهَدْيِ
 وَبِهِ نَسْأَلُ الْهَدْيِ وَالتَّوْفِيقِ

محمد بن علي السراوي

الفصل الأول



من هو الشيطان ؟

من هو الشيطان ؟

سؤال طالما دار في عقولنا .. دون ان نجد
له جوابا .. إن الشيطان غيب عنا .. يرانا
ولا نراه .. يهمس في آذاننا ويوسوس لنا
دون ان نعرف اين هو .. ولا ماذا
يفعل .. ولذلك يبقى السؤال .. من هو

الشيطان ؟

الله سبحانه وتعالى - رحمة منه بعقولنا - أعلمنا من هو
الشيطان .. وما هي قصة عداوته للإنسان .. وكيف
نشأت .. وكيف نواجهه ونتغلب عليه وعلى كل القوى الخفية
والظاهرة في الكون ..

الله تبارك وتعالى يأمرنا ان نستعيز به .. ذلك لأن الله جل
جلاله .. قاهر فوق كل خلقه .. المؤمن منهم والكافر ..
والطائع منهم والعاصي ، والذي له اختيار ، والمقهور على
الطاعة .. كل هؤلاء مقهورون لله سبحانه وتعالى .. فلا
شيء في كون الله يخرج عن امره .. ولا شيء في كون الله يخرج
عن مشيئته .. ولذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

(الآية ١٨ سورة الانعام)

الله سبحانه وتعالى .. لا يخرج شيء في كونه عن مراده
الفعل ، ولكن يخرج الذين اعطاهم الحق جل جلاله الاختيار
عن مراده الشرعي .. أو منهجه في إفعال ولا تفعل .. وهم
يخرجون عن هذا المنهج باختيار الله سبحانه وتعالى .. لأنه

جل جلاله .. هو الذى خلقهم قادرين على الطاعة ..
 وقادرين على المعصية .. ولو أنه تبارك وتعالى .. أراد أن
 يخلقهم مقهورين على الطاعة لفعل .. وهذا المعنى تجده فى
 قول الحق تبارك وتعالى :

﴿لَعَلَّكَ بِبَيْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِن نَّشَاءْ نُنَزِّلْ
 عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ﴾
 (الزمر ٢٠ : ١٠٣ سورة الشعراء)

وهذه الآية خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..
 الذى كان يحز فى نفسه .. أن هناك من يرفضون الإيمان ،
 وكان هذا الحزن والأسى .. لأنه كان صلى الله عليه وسلم ..
 يعرف ما ينتظرهم فى الآخرة .. من عذاب مهين خالد باق ..
 ولذلك ولأنه رحمة للعالمين .. كان يريد أن ينقذهم ..
 من المصير الذى ينتظرهم .

الله سبحانه وتعالى يخبره هنا بأن هؤلاء وإن خرجوا عن
 مراد الله الشرعى الذى أراده لهم بالإيمان به ، واتباع منهجه ،
 فإنهم لم يخرجوا عن مراد الله الفعلى .. لأن الله جل جلاله إن
 شاء جعلهم جميعاً مقهورين على الطاعة .. ولكن الله سبحانه
 وتعالى .. أراد لهم أن يكونوا مختارين .. فى أن يؤمنوا أولاً
 يؤمنوا .. يطيعوا أو يعصوا .. فأعطاهم الاختيار فى أن يفعلوا
 أو لا يفعلوا .. هذا الاختيار تابع عن إرادة الله سبحانه
 وتعالى .. ولولا تلك الإرادة ما كان هؤلاء مختارين فى أن
 يطيعوا أو أن يعصوا .. إذن فلا شيء فى كون الله يخرج عن
 إرادة الله سبحانه وتعالى .



وصف الشيطان

اننا قبل أن نغضى .. لابد أن نبين الفرق بين وصف الشيطان .. وبين الشيطان نفسه .. الشيطان كوصف عام معناه كل من يبعد الناس عن طاعة الله وعن منطق الحق ، وكل من يغري بالمعصية ، ويحاول أن يدفع الإنسان إلى الشر .. كل واحد من هؤلاء هو شيطان ..

ويجب أن نعلم ان هناك شياطين من الجن .. وشياطين من الانس .. يجمعهم وصف واحد ، كما يجمعهم الاتحاد في المهمة التي هي نشر المعصية والافساد في الارض .. شياطين الجن هم العصاة من الجن الذين يصدون عن الحق ويدعون إلى الكفر ، وشياطين الانس يقومون بنفس المهمة ..

إذن فاللفظ هنا وصف لمهمة معينة .. وليس إشارة إلى شخص باسمه ، فكل من دعا إلى الكفر والشرك والعصيان .. هو شيطان .

أما ابليس فهو - شيطان - من الجن .. وكانت له منزلة عالية .. حتى قيل انه كان يعيش مع الملائكة .. ابليس هذا هو مخلوق من خلق الله ، ولكنه يختلف عن الملائكة في انه خلق مختاراً .. وهو لا يستطيع ان يتمرد على (أمر) الله وإن أعطى

حق الاختيار ، وانما يستطيع بما له من اختيار .. ان يتمرد على (الطاعة) لهذا كان خروج ابليس عن طاعة الله .. ليس تمردا على أمر الله .. ولكنه عدم طاعة الله بمشيئة الله سبحانه وتعالى التي شاءت أن يخلقه مختارا .. قادرا على الطاعة .. وقادرا على المعصية .

هذه المشيئة هي التي نفذ منها إبليس .. وينفذ منها كل عاص بعدم طاعة الله .. وهذه نقطة لا بد ان نفهمها .. قبل أن نغضى في الحديث عن الانسان والشیطان .. فلا شيء في كون الله سبحانه وتعالى .. يتمرد على أمر الله ، ولكن الله خلق خلقا مقهورين على الطاعة (هم الملائكة) . وخلقنا مختارين في أن يطيعوا أو يعصوا (الانس والجن) ومن خلال هذه الارادة . إرادة الله سبحانه وتعالى في أن يخلق خلقا قادرين على الطاعة ، وقادرين على المعصية .. جاءت المعصية على الأرض .

على ان هناك حديثا طويلا عن معصية ابليس .. بعضهم يقول كيف يحاسب إبليس لأنه رفض أن يسجد لغير الله ؟ .. والله أمر ابليس أن يسجد لآدم .. وإبليس رفض أن يسجد لغير الله .

الذين يشيعون هذا الكلام .. من الملحدين وغيرهم .. نقول لهم إنكم لم تفهموا معنى العبادة .. فالعبادة هي إطاعة المخلوق لأوامر خالقه .. ومن هنا فإننا عندما يقول الله سبحانه وتعالى لنا أن نصلي خمس مرات في اليوم .. فالصلاة

هنا تكون عبادة وطاعة لله .. وكذلك الزكاة .. وكذلك الصوم .. وكذلك الحج .. وكذلك كل ما أمر الله به .. عبادة الله هي طاعته .. وعصيان أمر الله هو معصيته .

ونحن لانتاقش الأمر مع الله سبحانه وتعالى .. وإنما نطيعه . فلا نقول مثلاً لماذا نصلي خمس ركعات .. ولانصلي أربعاً أو ثلاثاً أو اثنتين .. لأنرد أبدأ الأمر على الله .. ولكننا نطيع حتى ولو لم نعرف الحكمة .. حتى ولو لم ندرك السبب .. لأن العلة في العبادة هي أنها من الأمر .. أى من الله سبحانه وتعالى .

مهمتنا أن نستوثق أن الأمر من الله .. ومادام الأمر من الله .. فالعلة في تنفيذ الأمر .. أو السبب في تنفيذه ان الله هو الذى قال .. أما غير ذلك فليس موضوعاً للمناقشة .

ومهمة العقل البشرى هي الاستدلال على أن لهذا الكون إلهاً خلقه وأوجده .. وأن هذا الإله هو الذى خلقنا .. وخلق نظاماً غاية في الدقة والابداع .. وكونا غاية في الإعجاز لا يمكن أن يوجد إلا بخالق عظيم ..

فإذا وصلنا إلى هذه النقطة يكون هذا بداية الإيمان .. ولكن عقولنا القاصرة .. وقد وصلت إلى هذا الحد .. لا يمكن أن تتجاوزه .. وهي لا يمكن أن تعلم مثلاً .. من هو هذا الخالق العظيم ؟ .. وما اسمه ؟ وماذا يريد منا ؟ .. ولماذا خلقنا ؟

وهنا يأتي دور الرسل ليكمل كل شيء .. يرسل الله سبحانه وتعالى رسولا .. مؤيدا بمعجزة من السماء .. تحرق قوانين الكون .. ويقوم هذا الرسول بإبلاغ الناس .. بأن الله جل جلاله .. هو الذي خلق هذا الكون .. وهو الذي مسخره لخدمة الإنسان .. حتى القوى العظيمة في الكون .. التي تفوق قدرات الإنسان ملايين المرات .. كالشمس مثلا والبحار والنجوم وغير ذلك .. كل هذه القوى مسخرة لخدمة الإنسان ..

لشمس تشرق كل صباح لاتستطيع ان تعصى .. ولا أن تقول لن أشرق اليوم .. والبحار يتبخر منها الماء الذي يتزل منه المطر .. فلا هي عصت يوما .. وقالت إن مياهي لن تبخر .. ولا هي تستطيع أن تمنع تبخر مياهها .. ليمتنع المطر عن الأرض ..

إذن مهمة الرسل .. هي إخبارنا بأن الله خلق كل هذا الوجود ومسخره لنا .. وأنه يريد منا أن نعبده .. ونفعل كذا وكذا ..

أي أنهم يحملون إلينا منهج عبادة الله .. والله سبحانه وتعالى يؤيدهم بمعجزات .. نعلم جميعا أنها فوق قدرات البشر .. كل البشر .. حتى نتأكد من أنهم فعلا رسل الله .. وحتى لا يأتى مدع أو شيطان يدعى الرسالة ليضل الناس ..

فإذا عرفنا ما يريد الحق جل جلاله منا ، فإن علينا السمع

والطاعة .. والسمع والطاعة هنا سيبيها أن الأمر صادر من
الله جل جلاله .. فهو بعلمه يعلم ونحن لانعلم ..
وبحكمته يعرف صلاح كونه ، ونحن بحمقنا قد نفعل الشر
ونظن أنه خير .

الله سبحانه بكل صفات كماله .. واجب العبادة ..
والإنسان إذا ناقش .. فإن من البديهي أن يناقش مساويا له في
علمه .. فالطبيب يناقش طبيبا .. والمهندس يناقش
مهندسا .. ولكن الطبيب لا يناقش في الطب نجارا مثلا أو
سباكاً .. فإذا كان النقاش - لكن يكون مجديا - يجب أن يتم
بين متساويين - فمن منا يساوى الله جل جلاله في علمه أو في
قدرته .. أو في أى علم من العلوم حتى نناقشه فيما أمر أو
نهى ؟! واقرأ قول الله عز وجل في كتابه الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْسِقَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ آخِذَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(من الآية ٣٦ سورة الاحزاب)

واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

﴿ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ

أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ

رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

(الآية ٢٨٥ سورة البقرة)



بداية المعصية

إذن فعبادة الله هي طاعة أوامره . . . وخالفة أوامر الله هي المعصية . وهي الفسوق . . . وهي الطريق إلى الكفر والعياذ بالله . . . ومن هنا فإن العبادة هي إطاعة المخلوق لأوامر خالقه . وإبليس عصى أمر الله . . . فلا تكون ذلك عبادة . . . ولكنها معصية وكفر .

ويروى لنا الله سبحانه وتعالى . . . في القرآن الكريم بداية معصية إبليس . . . فيقول جل جلاله :

﴿وَأَذَقْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
(الاية ٣٦ سورة البقرة)

وكانت هذه هي بداية المعصية . . . بداية كفر إبليس . . . إننا رفض إطاعة أوامر الله سبحانه وتعالى . . . ولم يسجد لآدم . . . أنه لم يرفض السجود لغير الله . . . ولكنه رفض السجود لأمر الله . . . وهذا هو الفرق . . . لأن رفض إطاعة أمر الله معصية وكفر .

ان البعض يثير . . . أن الأمر هنا صدر للملائكة . . . ولم

يصدر لإبليس .. فكيف يحاسب الله تبارك وتعالى إبليس على أمر لم يصدر إليه ؟

نقول إنه وإن كان إبليس من الجن .. إلا أنه رفض الأمر .. وفي ذلك نخبونا الحق سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ ﴾

(من الآية ٥٠ سورة الكهف)

وفي قوله تبارك وتعالى موجهها حديثه إلى إبليس :

﴿ قَالَ مَأمَنَّاكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ

خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۚ ﴾

(الآية ١٢ سورة الاعراف)

وقوله سبحانه :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَأمَنَّاكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَيَّ ۚ

أَمْ تَكْبَرْتَ أَتُمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۚ ﴾

(الآية ٧٥ سورة ص)

وهكذا نرى بنص القرآن الكريم .. أن الأمر قد صدر إلى إبليس بالسجود ، وأن الأمر قد شمله ، وذلك حتى لا يقال .. كيف يحاسب الله إبليس على أمر لم يشمله .



حقيقة إبليس

نأتى بعد ذلك لنكمل الحديث .. عن من هو إبليس ..
إن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة .. لأن الملائكة
لا يعصون الله .. ولأن الجن لهم اختيار كالإنسان تماما .

إن بعض العلماء .. يقسمون الأجناس المختارة الى ثلاثة
اقسام : الشياطين والجن والإنس .. ونقول لهم : إن هذا
التقسيم غير صحيح .. لأن الجنسين المختارين من خلق
الله .. هما الإنس والجن .. وفي ذلك يقول الله سبحانه
وتعالى فى سورة الرحمن :

﴿ سَفَرُكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴾

(الآية ٣١ سورة الرحمن)

وفى سورة الجن نقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
تَحَرُّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأُفُوا بِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

(الايتان ١٤ و ١٥ سورة الجن)

وهكذا نرى أن الجن منه من هو صالح ، ومن هو
فاسق .. وأن فسقة الجن هم الشياطين .. أما ما يقال عن أن

هناك جنسا ثالثا أو رابعا بما أخبرنا الله عنه .. فنقول لهم لا .. ليس هناك إلا الأنس والجن مختارين .. كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى ..

إذن إبليس من الجن .. عصى الله سبحانه وتعالى في أمر السجود لأدم .. وفي ذلك نقراً قول الحق جل جلاله :

﴿ فَتَجَدَّوْا إِلَّاءِ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾

(الاية ٥٠ سورة الكهف)

وهكذا كانت معصية إبليس .. برفضه أمر الله سبحانه وتعالى في السجود لأدم .. ولكن هل هذا الرفض من إبليس مجرد سهو أو خطأ ندم عليه ؟ .. أم كان رفضه استكبارا بالغرور الذي دخل نفسه ؟ .. والكبر الذي ملأ صدره ؟ ..

لقد كانت معصية إبليس غرورا وكبرا وإصرارا على المعصية .. فهو - لكبره وغروره - رد الأمر على الأمر .. وهو الله سبحانه وتعالى .. كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ يَا سَجْدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾

(من الآية ٦١ سورة الاسراء)

وقال كما يحكى القرآن :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الاعراف)

فكان إبليس رد الأمر ، على الله سبحانه وتعالى بقوله :
كيف تريدني أن أسجد لإنسان مخلوق من طين . . وأنا مخلوق
من نار إنه يريد أن يبرر هعصيته وفسوقه بأن النار عنصر أرقى
من الطين . . لأن فيها شفافية . . والمخلوق من النار يمتاز عن
المخلوق من الطين بأشياء كثيرة . . انه يمتاز عليه بسرعة الحركة
وخفتها ، ويمتاز عليه بأنه لا يرى . . فالإنسان لا يرى الجن . .
ويمتاز عليه أيضا بأنه يستطيع أن يصعد إلى مسافات عالية . .
وأنه يخترق الجدران . . ويدخل الأماكن المغلقة . . التي
لا يستطيع أن يدخلها الإنسان .





الأفضل لعنصر على آخر

إبليس أخذ من هذه العناصر - بكفره وغروره - حجة أنه هو الأعلى .. هكذا صرر له غروره .. فاعتقد أنه هو الأفضل ، ونسى ان هذه الميزات كلها لم يحصل عليها بذاته ولا بنفسه بل الله سبحانه وتعالى هو الذى وضع هذه الميزات فى المادة التى خلق منها الجن ، ولولا أن الحق سبحانه وتعالى أوجد هذه الميزات فى المخلوق من النار .. ما كانت قد وجدت .

إذن فالفضل فى ذلك ليس للعنصر الذى خلق منه إبليس - ولكن الفضل للذى أوجد هذه المواصفات فى عنصر النار .. وأن الله تبارك وتعالى .. إن شاء سلب النار كل هذه العناصر .. فيصبح إبليس أحمق خلق الله .

وكانت هذه أولى درجات الغرور والكبرياء من إبليس . أنه نسب الفضل لذاته .. بأنه مخلوق من عنصر أعلى من الطين .. وهو النار .. تماما كما فعل قارون حينما قال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾

« من الآية ٧٨ سورة القصص »

فكان جزاؤه أن خسف الله به ويداره الأرض .

ونمادى إبليس في معصيته كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

« الآية ١٦ سورة الأعراف »

وهنا لنا وقفة ثانية - في قول إبليس كما روى لنا القرآن الكريم - « فيما أغويتني » .. فكأن الغواية حدثت من الله سبحانه وتعالى .. فكيف يحاسب إبليس مع أن الله جل جلاله هو الذي أغواه ؟ .

نقول : إن إبليس استحق الغواية بما كسبت يده ، لقد دخل الكبر إلى نفسه .. واعتقد أنه قد أخذ كل ما أخذه .. سواء من عناصر تكوينه أو على علم من ذاته . فتركه الله سبحانه وتعالى لغروره .. فغوى .. فكأن البداية كانت من الشيطان .. فاستحق أن يتركه الله لنفسه ولغروره .. فوقع في الكفر .. ذلك أن الحق جل جلاله - يقول لنا في القرآن الكريم :

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

« من الآية ١٠٨ سورة المائدة »

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

« من الآية ٦٧ سورة المائدة »

وإبليس فسق وكفر .. فسق بأنه عصى أمر الله في السجود ، والفسوق معناه البعد عن المنهج .. يقال فسقت

الرطوبة عندما يصبح البلع رطباً .. البلع وهو أحمر تلتصق
قشرته بالشجرة .. فلا تستطيع أن تنزعها .. فإذا أصبح رطباً
ابتعدت القشرة عن الشجرة .. وأصبح من السهل نزعها ..
وهنا يقال فسقت الرطوبة أى انفصلت قشرتها عن ثمرتها ..
والفسوق ابتعاد عن المنهج .. والله سبحانه وتعالى أعلمنا أن
إيليس فسق وكفر .. في قوله جل جلاله : «إلا إيليس كان
من الجن ففسق عن أمر ربه» ..

والله تبارك وتعالى ترك إيليس لنفسه .. فغوى وسقط في
المعصية والكفر .. ذلك أن الله لا يظلم أحداً .. ولكن الظلم
يأتى من النفس .. وعندما يظلم المخلوق نفسه .. ويتخذ
طريق الكفر .. فإن الله يتركه للطريق الذى اختاره .. فما
دام قد اختار الكفر .. قاله غنى عنه .. لأن الله غنى عن
خلقه جميعاً .





سقط في الفجوة

عندما سقط إبليس في الفجوة .. وعرف أنه يكفره قد طرد من رحمة الله .. وأصبح محكوما عليه بالعذاب الأبدي .. طلب من الله أن يمهل إلى يوم القيامة .. وألا يقبض روحه إلا ساعة أن يتفخ في الصور .. وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ مَبْعُوثُونَ ﴾

والآية ٧٩ سورة ص ١

وبلاحظ هنا ان إبليس استخلم كلمة رب .. ولم يقل إلهي .. لأنه خاطب الله سبحانه وتعالى بأنه رب العالمين .. أي رب كل من خلق .. المؤمن منهم والكافر ..

إن الله سبحانه وتعالى له عطاءان .. عطاء ربوية في أنه رب للجميع .. هو الذي خلقهم واستدعاهم للوجود .. ولذلك فإنه يعطي عطاء - ربويته للمؤمن به والكافر والعباد بالله .. وهذا عطاء في الدنيا فقط .. يرزق المؤمن ويرزق الكافر .. ويد الله الممدودة بالاسباب في الارض تعطى المؤمن وغير المؤمن .. فكل من أخذ بالاسباب اعطته الاسباب .. فالذي يحسن زراعة الارض بأحسن الوسائل ، تعطيه محصولا

وفيرا ، سواء كان مؤمنا أو كافرا . . . والذي يأخذ بأسباب
التقدم - ويدرس ويبحث . . . تعطية الأسباب التقدم الذي
عمل من أجله . . . هذا في الدنيا فقط .

أما عطاء الألوهية . . . فهو لمن آمن بأن الله سبحانه وتعالى
هو واحد أحد لا شريك له . . . هذا هو عطاء الألوهية الذي
يعطيه الله تبارك وتعالى للمؤمنين به في الآخرة . . . حيث تنتهي
دنيا الأسباب . . . ويصبح كل شيء من المسبب مباشرة . . . من
الله لعباده المؤمنين . . . بمجرد أن يخطر الشيء على بالهم يجدونه
أمامهم . . . بلا أسباب وبلا عمل .

إن الشيطان . . . هو كل من يدعو إلى البعد عن عبادة
الله . . . والبعد عن منطق الحق . . . ويحض على المعصية مهما
كان جنسه . . . وإن إبليس خلق من خلق الله . . . تمرد على
منهج الله . . . بما أعطاه الله من حرية الاختيار في أن يطيع أو
يعصى ، وفي أنه رد الأمر على الأمر وهو الله سبحانه
وتعالى . . . فكفر بذلك العصيان ، ثم تمادى في الكفر . . .
وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبقيه حتى تقوم الساعة .

ولكن لماذا طلب إبليس هذا الطلب ؟ . . . وما الذي كان
يدور في عقله بالنسبة للإنسان ؟

الفصل الثاني



معصية الشيطان

قبل ان اذكر قصة عداء إبليس لآدم
 وفريته .. وكيف يوسوس لهم ويغريهم
 بالسوء .. لابد لنا من وقفة عند معصية
 « إبليس » .. تلك المعصية التي استحق
 عليها لعنة الله الى يوم القيامة .
 إبليس عندما رفض طاعة أمر الله
 بالسجود لآدم .. لم يحاول التوبة أو الرجوع الى الحق .. لم
 يقل يارب إن قولك حق .. وأمرك حق .. ولكني يارب لم
 أقدر على نقسي فساعني .. لم يفق لنفسه ويخر ساجدا .. بل
 إن الكبر كان قد ملأه .. فمضى في المعصية . يقول الحق
 سبحانه كما يروي لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ

خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

« الآية ١٢ سورة الأعراف »

وهكذا رد الأمر على الله سبحانه وتعالى .. وكأن الله جل
 جلاله قد غاب عنه انه خلق الجنان من نار ، وخلق الانسان
 من طين .. وكان هذا كافيا لطرد إبليس من رحمة الله ..
 وطرده من المكان الذي كان يعيش فيه مع الملائكة .. وهنا قال
 الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَ فَأَمِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا

فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

« الآية ١٣ سورة الأعراف »

وقول الحق سبحانه وتعالى : « فاهبط منها » .. معناها ان
إبليس .. كان في مكان عال قبل المعصية .. فلا يكون الهبوط
إلا من مكان عال إلى مكان منخفض ..
بعض الناس يأخذ الهبوط على أساس أنه يعنى المسافة ..
ولكن الهبوط قد يكون معنويا .. فالإنسان مثلا .. إذا كان
رئيسا أو حاكما .. ثم أفصى عن مكانه .. فقد هبطت
منزلته .. رغم انه مازال يعيش في البيت الذى عاش فيه ..
أى أنه لم يهبط من أعلى الى أسفل من ناحية المسافة ، ولكن
مكانه هبط .. وبعد ان كان مقامه عاليا .. أصبح لايساوى
شيئا ولاقيمة له ..

ويمكن ان يكون الهبوط من ناحية القيمة .. أى أنك
تؤمن .. ان انسانا ما ذو قيمة عالية .. تراه يحترم نفسه ..
لايقول إلا الحق .. مهاب الجانب .. وفجأة يرتكب عملا
شائنا .. يجعله يسقط في نظرك .. فلا تحترمه ولاتقيم له
وزنا ..

إذن الهبوط ليس بالضرورة .. هبوطا ماديا في المسافة ..
ولكنه قد يكون هبوطا في القيمة ، في المكانة ، ولذلك فإن
إبليس ليس من الضروري أنه كان يعيش في الجنة وهبط منها
كما يقول بعض المفسرين .. أو أنه كان يعيش في مكان عال
من السماء .. بل من الممكن ان يكون نزولا معنويا .. بحيث
أصبح لايساوى شيئا ..



الكبرياء لله وحده

الله سبحانه وتعالى .. حين قال له : « فاهبط منها » .. اعطانا سبب هذا الهبوط في قوله تعالى : « فما يكون لك أن تتكبر فيها » .. أى أن السبب هو أن إبليس قد ملأه الكبر والغرور .. والله سبحانه وتعالى لا يحب المتكبرين .. وكل من يأخذه الكبر .. ويعتقد أنه بذاته ونفسه يستطيع أن يحقق شيئا بعيدا عن قدرة الله سبحانه وتعالى .. يناله غضب شديد من الله .. لماذا ؟

لأن الفعل في هذا الكون كله لله جل جلاله .. فلا أحد يملك قدرات الفعل إلا الله .. فلكل فعل ظرف زمان ، وظرف مكان لا بد أن يقع فيهما .. وانت لا تملك الزمان ولا المكان ، فلا أحد يملك القدرة ليبقى حياته ولو دقيقة واحدة .. ولا أحد يملك القوة ليتحرك من مكان إلى آخر .. إلا بإذن الله وأمره .. وقد يأتيه الأجل قبل أن يتحرك .. وقد يأتيه المرض ليشل قدرته عن الحركة .. فكيف يتكبر الإنسان .. أو أى مخلوق من مخلوقات الله وهو لا حول له ولا قوة إلا بأمر الله .

الله سبحانه وتعالى طرد إبليس من المكان أو المقام الذى كان فيه .. لأنه تكبر واغتر .. واعتقد أنه يملك القوة الذاتية والقدرة الذاتية .. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : « فاخرج

النقود . . ومتى نزل السيل وكيف سار . . وهكذا قست
المسافة وقدرتها . . فعرفت موقع النقود . . فضحك الامام ابو
حنيفة رضى الله عنه وقال : والله لقد علمت ان الشيطان لن
يدعك تتم ليلتك مع ربك .

وهكذا عندما عرف الشيطان . . ان هذا الرجل سيقوم
ليلته مع الله . . اسرع اليه ليرشده عن مكان المال . . حتى
يمنعه من الاستمرار فى الصلاة . . ومن الاستمرار فى ذكر
الله . . وهذا هو احد معانى ما جاء فى القرآن الكريم :
« قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم »
وهذا ما ستعرض له فى الفصل القادم ان شاء الله عندما
نتحدث عنه بالتفصيل عن طرق إغواء الشيطان للإنسان وانه
يقعد للإنسان فى المساجد وأماكن العبادة . . ليلهيهِ ويمنعه عن
ذكر الله . . وعن إقامة الصلاة .
ثم غمضى فيما يرويه القرآن الكريم :

﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَينَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

الآية ١٧ سورة الاعراف .

اننا اذا تدبرنا هذه الآية الكريمة نجد ان الشيطان . . قد
حدد أربع جهات يأتى منها الى الإنسان . . اليمين واليسار
والأمام والخلف . . والمعروف ان الجهات هى ستة . . اليمين
واليسار والأمام والخلف . . وأعلى وأسفل . . فلماذا يأتى
الشيطان للإنسان من كل الجهات وترك الأعلى والأسفل ؟!



على ابواب المساجد

ان الشيطان يجلس على ابواب المساجد .. واماكن العبادة والذكر .. يحاول ان يفرى الناس على عدم الصلاة .. فاذا اذن للصلاة .. فانه يحاول ان يفرى الانسان بأى شيء حتى لا يذهب اليها .. فيذكره بما نسي من اشياء دنيوية .. ويوسوس له .. ويخوفه بأنه اذا ذهب الى الصلاة ربما فاته بيع أو شراء أو مال أو مصلحة ، وان العمل عبادة وأنه وأنه الى ان يصرفه عن الذكر وعن الصلاة .

هناك قصة تروى عن الامام أبي حنيفة رضى الله عنه .. وكان مشهورا بالفتوى في أمور الدين .. فجاءه رجل وقال : ضاعت منى نقودي .. فقد دفتها في مكان من الأرض ونزل السيل فأخفى مكان النقود .. وأزال الحجر الذى وضعته علامة على المكان .. ولا ادرى ماذا افعل ؟ .. فقال الامام ابو حنيفة : وماذا أفيتك في هذا الأمر ؟ .. ولكن الرجل ألح .. فقال له الامام ابو حنيفة : اذهب الليلة بعد صلاة العشاء .. وقف امام ريك متهجدا الى ان يطلع الفجر .. وقل لي ماذا سوف يحدث .

وعندما جاءت صلاة الفجر .. جاء الرجل متهللا .. وقال لقد وجدت مالى .. فسأله ابو حنيفة كيف ؟ .. قال الرجل .. ماكنت اقف للصلاة حتى تذكرت أين مكان

﴿ قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

(الاية ١٦ سورة الاعراف)

كيف دخل الشيطان الى باب غواية الانسان ؟ .. وماذا دخل ؟ .. اذا قرأت الاية الكريمة التي نحكى مقالة الشيطان لله عز وجل :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

الاية ٨٢ سورة ص

تعرف كيف دخل الشيطان .. الى غواية الانسان ؟ .. دخل من باب عزة الله سبحانه وتعالى .. وبأن الحق جل جلاله عزيز .. لا يحتاج لأحد من خلقه .. اى ان ابليس قال يارب لو انك اردتهم طائعين .. ما استطعت ان اغوى واحدا منهم .. ولكنك لأنك عزيز عن كل خلقك .. لاتزيد طاعتهم فى ملكك شيئا .. ولاتنقص معصيتهم فى ملكك شيئا ، فإننى بعزتك سأقوم بغوايتهم جميعا .. سأزين لهم المعصية .. سأقعد لهم على كل صراط مستقيم ، أما الطرق غير المستقيمة فلا حاجة للشيطان ان يقعد عليها .. انه لا يجلس - مثلا - على ابواب اماكن تناول الخمر .. ولا على ابواب الاماكن التى تتم فيها الفاحشة .. فإن هؤلاء الناس الذى يرتادون هذه الاماكن قد اصبحوا جنودا للشيطان - ليسوا محتاجين الى اغواء .. ولا الى وسوسة .

وحتى تكتمل تجربة الحياة على الأرض .. كان وجود
الاغواء من الشيطان ضروريا .. وحتى يختبر الله عباده ..
اختبارا إيمانيا حقيقيا ، ويمحص مافي قلوبهم ، كان لابد من
تجربة واقعية يمر بها الانسان في حياته .. وليست تجربة
نظرية .. لأن الكلام النظري شيء ، والواقع شيء آخر ..
فقد تقول سأفعل كذا وكذا .. وعندما يأتي وقت الفعل قد
لا تفعل .

والانسان حين حمل الأمانة .. وعد أنه سيؤديها حق
أدائها .. وعندما جاء وقت الأداء .. أخذته الدنيا بإغوائها
واغرائها .. فاتبع الشيطان .. ونسى عهده لله .. ونسى
منهج الله .

فلا يظن احد ان الله سبحانه وتعالى .. قد اجاب دعوة
للشيطان .. ولكنه جل جلاله .. بما أعد للدنيا من منهج ..
وبما أعده لحياة الإنسان من ابتلاءات واختبارات .. أراد ان
تتم الصورة كلها ..

إذن فالإجابة كانت لمراد الله سبحانه .. وليست استجابة
لدعاء الشيطان أن يبقى الى يوم البعث ولا يقبضه إليه قبل ذلك
اليوم .. ليظل الاغواء في الدنيا حتى آخر لحظة .. والابتلاء
للانسان مستمر الى يوم القيامة .

عندما قضى الله سبحانه وتعالى .. لأبليس ان يبقى الى يوم
القيامة .. عاد الغرور الى نفسه مرة أخرى .. وأحس ان هذه
هي فرصته .. ليستقم من آدم وذريته .. وقال الحق جل
جلاله كما يروى لنا القرآن الكريم :



الدنيا دار اختبار

والحياة الدنيا - لكي يكون فيها اختبار - لا بد أن يكون فيها إغواء وغواية . . ومن هنا كان إبقاء الحق سبحانه وتعالى لحياة الشيطان جزءا من الإغواء . . الذي سيتعرض له الانسان في حياته الدنيا . . اختبار من الله لحبه في قلوب عباده . . فمن احب الله . . وقاه الحق سبحانه وتعالى من إغواء الشيطان ، ومن احب المعصية والكفر والعياذ بالله . . سلط الله تبارك وتعالى عليه الشياطين . . لتزيده معصية وكفرا . .
واقرا قوله سبحانه وتعالى :

﴿الرَّءْيَا أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُمُهُمْ أَرَا
فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَّا عَدُّهُمْ عَدَاً﴾

الآيات ٨٢ و ٨٤ سورة مريم

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى . . يجعل الانسان مع من احب . . فإن احب الله تبارك وتعالى . . كان مع الله . . فوقاه السوء وأبعد عنه الشياطين . . وحفظه من الشر ، وفتح أمامه أبواب الخير . . وإن كان يحب الشيطان . . تركه للشياطين التي هي عدو له . . تقوده الى المعصية . . وتجعل حياته شقاء مستديما ويزداد إثما على آثامه ، ثم لا يأخذ معه شيئا الا ذنوبه . .

﴿ وَلِيَتَّبِعَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿

(من الآية ١٥٤ سورة آل عمران)

ولو أراد الله سبحانه وتعالى خلقا مقهورين على الطاعة كالملائكة .. لاستطاع ان يخلفهم .. ولو أراد الحق سبحانه وتعالى .. ان يطيع اهل الأرض جميعا منهج الله .. وان يكونوا جميعهم مسبحين وعابدين لاستطاع ان يفعل ذلك .. ولكن الله جل جلاله اختار اجناسا تأتيه عن قهر كالملائكة وغيرها من خلق الله .. واختار الانس والجن دون غيرهم من الاجناس ليأتوه عن حب ورغبة .. يكونون قادرين على المعصية .. ولكنهم لا يفعلونها حبا لله ، ويكونون قادرين على عدم الطاعة .. ولكنهم يطيعون قربا لله .. انه سبحانه وتعالى يريد خلقا يأتيه عن حب .. في فترة اختبار محدودة بعمر كل انسان .

اننا بعد حلول الاجل سنكون مقهورين لإرادة الله سبحانه وتعالى .. ذلك ان الانسان وهو يحتضر تنتهي إرادته البشرية تماما .. ولا تصبح له إرادة حتى على جسده .. لأن الإرادة كانت في الدنيا .. أما ساعة الموت .. وفي حياة البرزخ .. بين الموت والبعث .. ويوم القيامة ، فلا توجد إرادة لأحد .. فالكافر يقاد الى النار .. ويحاول ان يوقف قدمه عن السير فلا تقف ، ويحاول ان يدفع النار بيديه فلا تندفع ، ويحاول ان يهرب من الوقوف امام الله ، ومن العذاب .. فلا يستطيع .. كل ماكان له في الدنيا .. من حول وقوة قد انتهى .

إنك من الصاغرين .. اى أنه إذا كان لك كبر أو قوة أو ذاتية .. فابق في مكانك .. ولكنك ستخرج وأنت صاغر .. ستخرج رغما عن أنفك .. لا تستطيع المكابرة .. ولا يمكنك ان تدعى ان لك قوة تحميك .. أو تجعلك تستطيع ان تخالف أمر الله ، بل ستخرج ذليلا صاغرا مهينا .

عندما أدرك ابليس ان الكبر الذى ملأ نفسه هو كبر زائف .. وأنه فى الحقيقة لايساوى شيئا فى ذاته .. امتلأ قلبه بالحقد على آدم .. لأنه اعتقد أنه السبب فى كل ما حدث له .. فى طرده وفى هبوطه إلى أسفل السافلين .. وفى غضب الله سبحانه وتعالى عليه .. والحقد الذى ملأ قلب ابليس .. دفعه الى محاولة الانتقام من آدم وذريته .. فكما قاده عدم اطاعة امر الله بالسجود لآدم الى النار .. يريد هو ان يقود آدم وذريته الى النار .. ثارا منهم لما حدث له .. وكما طرد ابليس من رحمة الله .. فإنه يريد ان يطرد آدم وذريته من رحمة الله .. انه يريد الانتقام من آدم .. لأنه كان السبب فى كل ما حدث .. من لعن وطرد لابليس وكل من تبعه ، انه لا يريد ان يدخل الى النار وحده ا وانما يريد ان يحشد فيها من يستطيع اغواءه من الناس .

ولذلك عندما خرج ابليس .. صاغرا ذليلا .. من المقام الذى كان فيه .. توجه الى الحق سبحانه وتعالى كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

والآية ١٤ سورة الاعراف

هكذا عاد إبليس الى المذلة .. يطلب من الله سبحانه وتعالى .. ان يبقيه حيا الى يوم القيامة .. وقد كان يملؤه الكبر .. ولو ان كبره كان حقيقة وليس زيفا .. ولو انه كانت له اى قوة ذاتية .. لما طلب الى الله سبحانه وتعالى ان يبقيه الى يوم القيامة .. ولأبقى نفسه .. ولكن لأنه لاحول له ولا قوة إلا ما شاء له الله .. فإنه اتجه الى الله سبحانه وتعالى ليبقيه حيا الى يوم القيامة .

ولكن لماذا استجاب الله تبارك وتعالى لدعاء إبليس .. وكان من الممكن أن يهلكه في الترو واللمحظة ؟ . لماذا قال الله جل جلاله :

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾

الايتان ٣٧ . ٣٨ سورة الحجر

لقد استجاب الله دعاءه - وهو المطرود من رحمته - لأن حكمة خلق الدنيا .. لانكتمل الا بهذا .. فالله سبحانه وتعالى .. خلق الدنيا كدار اختيار .. وجعل الآخرة دار الجزاء .. والله جل جلاله يريد ان يمر عبده باختبار في الحياة الدنيا .. ان يمتحن قبل ان يجازى .. ان يكون شهيدا على نفسه يوم القيامة فيما فعل .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّائِرِينَ ﴾

الاية ١٤٣ سورة آل عمران

له جل جلاله :

ونجيب على ذلك بأن الأعلى هو مكان صعود الدعاء . .
 وصعود الأعمال الصالحة لله سبحانه وتعالى . . والأسفل هو
 مكان السجود والخضوع لله جل جلاله . . وكلاهما لا يستطيع
 الشيطان الاقتراب منه ، فمكان السجود لله والخضوع له
 لا يقربه الشيطان . . وكذلك مكان صعود الدعاء والعمل
 الصالح . . فهذان المكانان مباركان لكل مؤمن ، تحفهما
 الملائكة ولا تقربهما الشياطين .

لكن لا بد لنا ان نقف . . عند قول الحق تبارك وتعالى :
 « ولا تعبدوا أكثرهم شاكرين » . .

من الذى أنبا الشيطان وعرفه ان أكثر الناس لن يكونوا
 شاكرين لله على نعمه وفضله . . والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

« من الآية ٢٤٣ سورة البقرة »

هل أوق الشيطان من علم الغيب . . ما جعله يعرف ان
 أكثر الناس لن يكونوا شاكرين . . ام انه كان واثقا من نفسه
 وثوقا جعله يقول هذا الكلام . .

فالشيطان لا يعرف الغيب . . ولم يؤت هذا العلم حتى يقول
 ان أكثر عبادك لن يكونوا شاكرين . . كما انه لم يكن لديه من
 العلم ما يجعله جازما وواثقا من أن ذلك سيحدث نتيجة اغوائه
 للأنسان . .

ان القرآن الكريم يكشف لنا كيف قال الشيطان هذا
 الكلام .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الآية ٢٠ سورة مآ)

إذن فقد كان ما قاله إبليس ظنا فقط . . فلم يكن يعلم
غيبا . . ولا يدري ما سيحدث في المستقبل . . وجاء حكم الحق
سبحانه وتعالى على إبليس ومن تبعه : كما يقول رب العزة في
كتابه الكريم :

﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا لَّنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(الآية ١٨ سورة الاعراف)

وهكذا طرد إبليس . . من رحمة الله ومن الجنة . . ومن أي
مكان فيه قرب من الله . . وأصبح مذموما ملعونا . . ليس هو
فقط . . ولكن هو وكل من تبعه من الجن والإنس . .
مصيرهم جميعا هو الخلود في النار . . قاله عز وجل . . أعد
لكل عبد من عباده . . من الإنس والجن . . مكانا في الجنة
ومكانا في النار . . حتى إذا عصي الخلق جميعا وسعتهم
النار . . وإن أطاع الخلق جميعا سعتهم الجنة . . ويوم القيامة
فإن أصحاب الجنة يرثون - فوق ما أعد الله لهم من الجنة -
الأمكن المخصصة . . لمن قضى الله سبحانه وتعالى عليه
بالمذاب في جهنم يوم القيامة والعياذ بالله بعد ذلك .

لقد اراد الله سبحانه وتعالى بعد أن انظر ابليس الى يوم
القيامة ان يحصن آدم ويعرفه التجربة التي هو مقدم عليها ..
ويبين له كيف ان الشيطان عدو له .. وكيف انه سيغريه على
المعصية .. وكيف انه سيعده كذبا .. ولن يحقق وعده ..
وأراد الحق تبارك وتعالى .. ان يتم ذلك بتجربة عملية يمر بها
آدم وحواء .. حتى اذا نزلا الى الارض .. كانت هذه
التجربة وقاية لهما من إغواء الشيطان .. فقال الحق سبحانه
وتعالى :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«الاية ١٩ سورة الاعراف»

وهكذا أعد الله تبارك وتعالى .. مكان التجربة لآدم
وحواء .. في جنة فيها كل اسباب الحياة .. بلا تعب
ولاجهد .. وفر لهما الطعام من ثمار مختلفة .. ووفر لهما
الشراب .. وفتح لهما من النعم كل مايشتهيهانه .. وأباح لهما
كل ثمر الجنة . ماعدا شجرة واحدة .. طلب منها الا يقتريا
منها ..

انها حياة مريحة مليئة بالنعم. المباح فيها كثير ، والممنوع منها
أقل القليل .. شجرة واحدة هي الممنوعة .. وحذرهما الله
سبحانه وتعالى .. من ان الشيطان عدو لهما .. وطلب منها
الا يستمعا الى مايقوله لهما .. لأنه يريد بهما السوء .. ولا يريد
لها الخير .. فما الذي حدث ؟

انه رغم كل هذا التحذير .. ورغم ان المباح كثير والممنوع

هو شجرة واحدة . . فإن الشيطان استطاع باغوائه ان يوقع آدم وحواء في المعصية .

بعض المفسرين يقولون . . ان حواء هي التي وقعت في المعصية اولاً . . ثم أوقعت آدم . . وأنها هي السبب في خروج آدم من الجنة . . فهل هذا صحيح ؟ . وهل حواء هي التي تحمل المعصية الأولى في خروج آدم من الجنة . . ام ان هذا غير صحيح . . وما هي الحقيقة ؟ . وماذا حدث ؟

وقبل ان نجيب على هذه الاسئلة . . نجعل ماقلناه في هذا الفصل من أن الكبر قد ملأ ابليس . . فجعله يفترب نفسه . . ويرد الأمر على الله سبحانه وتعالى . . ويقول خلقتني من نار وخلقته من طين . . يريد ان يبدل أمر الله . . فلعله الله وطرده من رحمته . . وجعله من اهل النار هو وكل من اتبعه . . ولكن إبليس اتخذ مدخلا ليغوى آدم وذريته . . وهذا المدخل هو ان الله تبارك وتعالى عزيز غني عن خلقه جميعاً . . لا يضره من ضل . . ولا ينفعه من آمن .

من هذا المدخل دخل ابليس الى غواية بني آدم . . والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار اختبار . . ولذلك كان لابد من الغواية . . ليعلم الله الصادقين في إيمانهم . . (علم شهادة) ليكونوا شهداء على انفسهم يوم القيامة .

لقد شاءت ارادة الله أن يدخل آدم في تجربة عملية في إغواء الشيطان . . ليحذره ويعلمه بما سيلاقيه في الحياة الدنيا . فكيف تمت هذه التجربة ؟

الفصل الثالث



آدم والشيطان

طرد الله سبحانه وتعالى الشيطان ،
وأخرجه مما كان فيه . . والخروج هو مجاوزة
المكان أو مغادرته . . والشيطان خرج
مطرودا وملعوناً ومذموماً . . والله سبحانه
وتعالى وعد كل من اتبع الشيطان بالعذاب
في النار .

ان الله جل جلاله قد أعد في الجنة - كما قلنا - أماكن لكل
خلقه . . من خلق آدم إلى قيام الساعة . . وأعد في النار
أماكن لكل خلقه . . من آدم إلى قيام الساعة . . فلو أطاع كل
الخلق لوسعهم نعيم الله في الجنة ، ولو عصى كل الخلق لألهم
عذاب الله في النار .

ولقد شاء الله ان يقوم آدم وحواء بتجربة عملية على كيفية
مواجهتهما وفريتهما وسوسة الشيطان . . وذلك حتى يكونوا
محصنين منها . . ويعرفوا أن الشيطان كاذب فيما يعد . . وأن
الشيطان لا يأتي منه إلا الشر والضرر وزوال النعمة .

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَمَّا دُمِ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«الآية ١٩ سورة الأعراف»

ومن هذه الآية الكريمة . . نعرف أن آدم وحواء سكنا

الجنة . . وكثير من العلماء قالوا . . ان المقصود بالجنة في الآية الكريمة هي جنة الخلد في الآخرة . . عما دفع المستشرقين وغيرهم أن يتساءلوا : كيف يمكن أن يدخل إبليس جنة الطائعين لله ليوسوس لأدم وحواء ويغريهما بالمعصية ؟ كيف يمكن لإبليس . . وهو عاص ومطرود من رحمة الله . . ومحكوم عليه بالعذاب في النار . . أن يدخل جنة الخلد ؟

ثم كيف يمكن لأدم وحواء . . أن يدخلوا جنة الخلد ثم يخرجوا منها ؟ . . مع أن الله سبحانه وتعالى قد كتب أن كل من يدخل الجنة يبقى خالدا فيها ؟

نقول لهؤلاء جميعا . . إنكم لم تفهموا مدلول كلمة (جنة) في القرآن الكريم . . ان هناك شيئا في اللغة العربية يسمى غلبة الاستعمال . . ذلك أن اللفظ يكون له معان متعددة . . ولكنه يؤخذ عادة على معنى واحد . . إذا قاله الانسان . . إنصرف الذهن إلى هذا المعنى بالذات . . من هنا فإتينا عندما نسمع كلمة (جنة) . . ينصرف ذهننا إلى جنة الآخرة . . لأنها هي الجنة الحقيقية . . ولكن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة جنة في القرآن الكريم في معان متعددة . . الجنة في اللغة معناها الستر . . ولذلك فهي تطلق على المكان الذي فيه أشجار غزيره ومتنوعة . . بحيث إذا مشى الإنسان فيه . . سترته هذه الأشجار بأغصانها المتشابكة عمن هم خارج هذه الجنة فلا يرونهم . . وفي نفس الوقت . . فهو يجد فيها أسباب معيشته كاملة . . ولذلك فهو لا يحتاج إلى الخروج منها . . هذا هو المعنى اللغوي للجنة .



ليست جنة نظد

فإذا بحثنا في القرآن الكريم .. وجلنا أن القرآن استخدم كلمة الجنة في أكثر من معنى .. استخدمها بمعناها اللغوي (بمعنى السر) وفي معناها اللغوي .. (جنة الآخرة) وفي ذلك نجد آيات كثيرة بهذين المعنيين كقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا لِّرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾

وقوله جل جلاله : الآية ٢٢ سورة الكهف .

﴿ أَوَدُّ أَحَدُكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

وقوله تعالى : من الآية ٢٦ سورة البقرة .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ وَبَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴾

الآية ١٥ سورة سباء .

كل هذه الآيات الكريمة .. استخدم فيها الحق سبحانه
وتعالى .. كلمة جنة وهو يعنى جنة في الدنيا ..

ولقد قال بعض العلماء .. إن الله تبارك وتعالى .. قد
فرق بين جنات الدنيا وجنة الآخرة .. فلفظ (الجنة) يطلق
على جنة الآخرة وحدها .. ولفظ (جنة) من غير الألف
واللام .. يطلق على جنات الدنيا .. ولكن هذا الكلام غير
صحيح .. بل دليل اقتران الألف واللام بجنة الدنيا ، كما جاء
في قوله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاكُمْ مِمَّا بَلََوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا
لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴾

الآيتين ١٧ و ١٨ سورة الفلم ،

والحديث هنا في هاتين الآيتين .. عن جنة أو حديقة من
حدائق الدنيا .. إذن فالألف واللام .. لا يميزان لفظ
جنة .. بحيث يصبح المعنى هو جنة الآخرة .. ولا بد أن تقف
هنا قليلا .. عند بعض الأقوال التي تدعى أن آدم وحواء كانا
يعيشان في جنة الخلد .. وعندما عصيا الله طردهما من
الجنة .. وأنزلهما ليعيشا في شقاء على الأرض ..

نقول ان هذا الكلام غير صحيح في اطلاقه .. وذلك أن
الله سبحانه وتعالى .. قبل أن يخلق آدم حدد مهمته في هذه
الحياة .. وقرأ قوله جل جلاله :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

ومن الآية ٣٠ سورة البقرة :

إذن قبل أن يتم خلق آدم .. كانت الغاية من خلقه أنه سيعيش في الأرض ويعمرها .

والنقطة الثانية هي أنه لو أن آدم قد طرد من الجنة لأنه عصي .. فما ذنبنا نحن حتى نرث المعصية ونرث الشقاء .. إن هذا يتنافى مع عدل الله تبارك وتعالى في قوله :

﴿ وَلَا يَزِدُّكَ عُذْرًا وَلَا يَزِدُّكَ عُذْرًا ﴾

من الآية ١٨ سورة قاطر .

إن كل إنسان يحاسب عما فعله فقط .. ولا يحاسب عما فعله أبواه .. أو جداه أو أولاده .. لأن الإنسان لا يحمل إلا حسناته أو معاصيه .. ومن هنا لا يمكن أن يكون آدم قد عاش في جنة الخلد .. ثم طرد منها لأنه قد عصي .. وتحملنا نحن نتيجة المعصية .. وورثناها وعذبنا بها بأن طردنا من الجنة ، لأنه لو لم يعص آدم لعشنا نحن في الجنة .. نقول هؤلاء ان هذا يتنافى مع عدل الله الذي يأبى أن تورث المعصية .

ولكن لماذا جعل الله سبحانه وتعالى إقامة آدم وحواء بعد خلقهما في جنة ؟

نقول إن لذلك حكمة .. فأدم خلق ليتلقى المنهج من الله .. في افعل ولا تفعل .. وهذا المنهج فيه صلاح الحياة على الأرض .. فما قال عنه الله سبحانه وتعالى إفعل .. إن لم تفعله فسدت الأرض ، وما قال عنه لا تفعل .. إن فعلته فسدت الأرض ..

إن الله تبارك وتعالى .. وضع آدم وحواء في هذه الجنة ليأخذنا تجربة عملية عن تطبيق منهج الله .. وليأخذنا تحذيرا عمليا .. عن مهمة الشيطان في إفساد منهج الله .. لأن مهمة الشيطان أن يدفع آدم وذريته ليفعلا ما نهاهما الله ألا يفعلاه .. وألا يفعلوا ما أمرهما الله جل جلاله بفعله .. فإن قال الله لهما لا تشربا الخمر .. سيزين الشيطان لهما شرب الخمر ، وإن قال الله لهما أقميا الصلاة .. زين الله لهما ترك الصلاة .. وهكذا .

لقد كانت التجربة بسيطة في أداؤها .. عظيمة في مدلولها .. كانت تدريبا عمليا لأدم عليه السلام .. على ما سيحدث له إذا أطاع الله .. وعلى ما سيحدث له إذا أطاع الشيطان .. وهكذا جاء الله سبحانه وتعالى بآدم .. ووفر له كل مقومات الحياة في مكان أسماه الجنة .. فقال جل جلاله لأدم :

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

«الآية ١٩ سورة الأعراف»



أول منافع السماء

الحق سبحانه وتعالى بين لآدم الميزات .. التي سيحصل عليها في هذا المكان الذي سيقوم فيه .. فقال جل جلاله :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَسْرِى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ ﴾

الآية ١٦٨ . ١٦٩ سورة طه .

أى في هذه الجنة طعام يكفيك وكساء يترك .. وماء تجده دائما فلا يصيبك الظمأ .. وليس فيها تعب .. ثمار هذه الجنة مباح لك .. بل كل ما فيها مباح لك .. ماعدا شجرة واحدة لا تقرب منها .. ولا تأكل من ثمارها .

إن هذا هو منهج الله في الأرض .. إنه جل جلاله يبيع لنا الكثير جدا .. ويحرم علينا أقل القليل .. وحذر الله سبحانه وتعالى آدم وحواء .. من عدوهما إبليس .. فقال تعالى :

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَإِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

رَبِّ الْجَنَّةِ فَتَشَى

الآية ١٦٧ سورة طه .

وكان هذا التحذير كافيا .. ليتنبه إلى عداوة إبليس . فلا يستمع إلى وسوسته .. ولا يصدق أكاذيبه ..

لقد وفر الحق جل جلاله لأدم كل مقومات الحياة من غذاء .. يعطيه ما يحتاجه جسده بدون فضلات .. فאלله سبحانه وتعالى يغذى الجنين فى بطن أمه بالقدر الذى ينميه .. ولا تخرج منه فضلات .. لأن الغذاء على قدر النمو .. وكان غذاء آدم فى الجنة على قدر نموه ..

ويجب ان نتنبه إلى أن الجنة التى عاش فيها آدم .. ليست هى جنة الخلد .. لأن الحياة فى جنة الخلد لا تأتى الا بعد الحياة الدنيا .. فهى جزاء لاتباع منهج الله فى الدنيا .. وأنها ليست سابقة للحياة الدنيا .. ولكنها لاحقة لها وتأتى بعدها .

إذن فالجنة التى عاش فيها آدم .. هى مكان فيه كل ما يحتاجه حياته وما تتطلبه .. ولا بد أن نلاحظ .. أن الله سبحانه وتعالى .. قال لأدم وحواء : « ولا تقربا هذه الشجرة » .. ولم يقل لها ولا تأكلا من هذه الشجرة .. لماذا ؟ .. لأن الله يريد أن يحمى آدم وذريته من إغراء المعصية .. فلو أنه جل جلاله قال لا تأكلا .. لكان قد أباح لأدم وحواء ان يقتريا من الشجرة .. ويجلسا إلى جوارها .. ويتأملتا ثمارها .. وحينئذ كان يغريهما شكل الثمار .. أولونها أوراثنها فياكلان منها ..

لكن الحق تبارك وتعالى - أراد أن يحمى آدم من نفسه .. ومن الإغراء الذى يمكن أن يتعرض له .. وقد لا تقوى نفسه عليه .. هذه الحماية التى أراد الله أن يوفرها لأدم وذريته من بعده .. هى الحماية الحقيقية من الوقوع فى المعصية .. لأنك

إذا اقتربت من شيء حرمه الله .. تميل نفسك اليه .. وربما
دفعك هذا القرب الى اقترافه .

ونلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى .. يطلب منا الا نقرب
من قمم المعاصي فيقول :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنَالِي عَلَيْكُمْ فَأَجْنِبُوا الرِّجْسَ
مِمَّا الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾

(الآية ٢٠ سورة الحج)

ولم يقل تبارك وتعالى .. لا تعبدوا الأوثان .. فلو قالها
لكان مباحا لنا أن نذهب إلى الأماكن .. التي تعبد فيها
الاصنام وأن نجلس فيها .. فإذا فعلنا ذلك .. ربما أوقعنا
هذا الجلوس والعياذ بالله في عبادة الاصنام .. وكذلك اقرأ
قول الحق جل جلاله

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْيَيْسُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾

(من الآية ٩٠ سورة المائدة)

أي لا تقربوا أماكنه .. والغريب أنك تجد بعض الناس
يحاول أن يجادل في أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم الخمر ..
ويقول لك اثني بآية من القرآن الكريم يقول فيها الله تبارك
وتعالى حرمت عليكم الخمر .

ونقول لأمثال هؤلاء المشككين : إن الأمر الذى ورد
 بالاجتناب أقوى من التحريم .. فلو أن الله جل جلاله
 قال .. حرمت عليكم الخمر .. لكان المحرم فقط هو شرب
 الخمر .. وكنا فى هذه الحالة نصنعها وتاجر فيها .. ونعد
 الأماكن التى يتم فيها تناولها .. ونخدم شاربها ونجلس
 معهم .. فإدعنا لا نشرب الخمر .. ومادام قد نزل فيها أمر
 بتحريم فقط .. فلنا أن نفعل كل هذا .. ولكن الاجتناب حرم
 أن نقترب أساسا من الأماكن التى يتناول فيها الخمر ..
 أو نصنعها أو نتاجر فيها أو نجالس الذين يشربونها ..
 فالاجتناب أقوى من التحريم .. ولذلك فإن الله سبحانه
 وتعالى طلب من آدم وزوجته ألا يقتربا من الشجرة المحرمة ..
 ولا يكونان قد ظلما نفسيهما .





بحاية المعصية

ماذا فعل الشيطان ؟ .. انه يريد أن يوقع آدم وحواء في المعصية .. فماذا فعل ؟ .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ لَّهُمَا ﴾

« من الآية ٢٠ سورة الاحراء »

قول الحق سبحانه وتعالى : « وسوس » .. تدل على أن الحديث دار همسا بصوت خافت .. والوسوسة هي إغواء الشيطان .. وهي اغراء بارتكاب الشر ، والذي يتحدث ويأمر بالخير لا يهيمه أن يكون حديثه بصوت عال .. ولكن الحديث في الشر والغواية لا يتم الا همسا بصوت خافت .

والوسوسة في اللغة العربية .. هي صوت رنين الذهب والحلى .. وهو صوت يجذب الناس ويغريهم ويلفت نظرهم ، والوسوسة لابد أن يكون فيها إغراء .. لأنك إذا أردت أن تخرج الناس عن منهج الله لابد أن تغريهم بمتعة دنيوية سيفوزون بها .

اننا لابد أن نتوقف عند قوله تعالى : « فوسوس لهما الشيطان » .. لأن الشائع أن الشيطان أغوى حواء .. وأن حواء هي التي اغوت آدم .. وزينت له المعصية حتى أكل من الشجرة .. وأنه لولا حواء لبقى آدم في الجنة !

نقول إن الله سبحانه وتعالى .. برا حواء من هذه
الغربة .. فقله تعالى : « فوسوس لها الشيطان » دليل على
أن الشيطان .. هو الذى زين المعصية لآدم كما زينها لحواء ..
أى أن الشيطان هو الذى قام بإغواء آدم وحواء .. ولم تقم
حواء بإغواء آدم على المعصية .. والغواية جاءت من الشيطان
للإثنين معا ..

ولكن ما هدف الشيطان من هذه الوسوسة ؟ .. هدفه أن
يعصى آدم وحواء ربهما .. فيعاقبا كما عوقب الشيطان بالطرد
من رحمة الله .. والعقوبة هنا هى أن تظهر سوءات آدم
وحواء .. والسوءة هى ما يسوؤك النظر اليه .. أو هى
العورة .. لأن الفطرة تجعل الإنسان يخجل من أن يظهر عورته
على الناس .

وقبل أن يأكل آدم وحواء من الشجرة لم ير أحدهما عورة
الآخر .. ولا عورة نفسه .. فلا آدم رأى عورته ولا عورة
حواء .. وكذلك حواء لم تر عورتها ولا عورة آدم .. كلاهما
ستره الله عن الآخر .

لقد اتعب العلماء أنفسهم .. فى كيف كانت عورتا آدم
وحواء مستورتين عنهما .. قال بعضهم كان عليهما اللباس ..
وقال آخرون ان أظافر آدم وحواء كانت طويلة .. حتى كانت
تصل الى قدميهما .. وكانت هى التى تستر العورة .. ثم
زالت هذه الأظافر بالمعصية ..

ولكن ذلك لا يجب أن يشغلنا .. قاله سبحانه وتعالى ..

كان يستر عورق آدم وحواء .. بما شاء من أنواع الستر ..
بنور قوى من عنده .. فالتور اذا كان قويا فلا تستطيع أن ترى
الأشياء من خلاله .. فإن النور في ضعفه غيز به الأشياء ..
وفي قوته يخفيها عنا .. ومواء ستر الله سبحانه وتعالى عورق
آدم وحواء بثوب أو بأظافر .. أو بنور من عنده .. فاللهم أن
هذه العورات كانت مستورة عن أعينها .





وظفت عورة الإسلام

والسؤال لماذا نساء عندما تظهر عوراتنا؟ .. إن العورات هي مكان خروج فضلات الطعام والشراب .. إننا نحرص على كشف أماكن دخول الطعام والشراب كالقم مثلا .. ونحرص حرصا شديدا في نفس الوقت .. على عدم إظهار أماكن خروج فضلات الطعام والشراب ..

يقول بعض العلماء في تحليل ذلك : إن العورة تذكرنا بمعصية الله .. فعندما حدثت المعصية ظهرت العورة .. ولذلك فنحن نريد أن نسترها .. لأنها رمز للمعصية .. والمعصية عورة يحاول الإنسان دائما أن يخفيها ويخجل منها .. يحرص ألا يراه الناس ، والرجل مع زوجه يحرص على أن لا يراه أحد .. ويحتاط لذلك أشد الاحتياط .. الإنسان عندما يكون معه مال حلال .. يخرج أمام كل الناس .. ولا يخشى شيئا .. والإنسان ومعه مال مسروق يحاول أن يخفيه عن الدنيا كلها .. فالمعصية في كل أحوالها عورة يحرص الناس على إخفائها وسترها .

ولكن كيف تم إغواء الشيطان لآدم وحواء؟ .. كيف أضعهما في المعصية .

اقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ وَقَالَ مَا تَهَاكُمَا بِهَذَا الشَّجَرِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ ﴾

(من الآية ٢٠ سورة الاعراف)

جاء الشيطان لهما من جهة ما تريده النفس البشرية
وتتمناه . . وهو حياة خالدة لا تنتهى ولا تزول . . وملك دائم
لا ينفد . . ولذلك فإن الشيطان حين أراد أن يغرى آدم وحواء
بأن يأكلا من الشجرة قال لآدم كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَئِيمٍ ﴾

(من الآية ١٢٠ سورة طه)

والشيطان كاذب فيما يقول . . فلو كانت هذه شجرة الخلد
فعلا لأكل منها الشيطان نفسه وأصبح خالدا لا يموت . . ولكنه
طلب من الله أن يبقيه إلى يوم القيامة . . لأنه يعلم يقينا أن
الله هو خالق الحياة . . وأنه وحده هو الذى يبقياها
أو يذهبها . .

ولا بد أن نتنبه الى طريقه إغواء الشيطان . . إنه يحاول
إغواء الانسان . . بأن منهج الله سبحانه وتعالى يضره
ولا ينفعه . . وأن النفع الحقيقى هو فى المعصية . . لهذا قال
لآدم وحواء . . ان الله منعهما من الأكل من هذه الشجرة . .
حتى لا يكون لهما الملك والخلود . . والانسان يكره الفقر ويكره
الموت . . ويريد أن يبقى خالدا . . ولذلك جاء لهما الشيطان

ليقول لها : اذا أردتما الخلد والملك .. فامامكما هذه الشجرة .. وحلف لها كما يروى القرآن الكريم :

﴿ وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنَاصِحٌ ﴾

(من الآية ٢١ سورة الاعراف)

أى أقسم لها أنه يريد لها النصح .. وصدقا القسم .. صدقا الشيطان في أنه يريد لها الخير .. ولذلك عاتب الله سبحانه وتعالى .. آدم وحواء بأنها صدقا قَسَمَ إبليس .. مع أنه جل جلاله قد بين لها أن إبليس عدوها لا يريد لها الخير .. وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ؟ ﴾

﴿ وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

ولكن آدم وحواء هما اللذان أحسا بالندم الشديد .. ما كانا يعتقدان أن خلقا من خلق الله يقسم بالله على باطل .. ولذلك قال قتاده رضى الله عنه .. المؤمن بالله يخدع .. أى اذا دخلت على مؤمن بالله سهل لك خداعه .

وكان سيدنا عبد الله بن عمر .. عندما يحسن أحد عبيده الصلاة يعتقه .. فكان العبيد اذا رأوه بدأوا يصلون بخشوع .. فقال له الناس : ان العبيد يخدعونك لتعتقهم .. فقال لهم عبد الله بن عمر .. من خدعنا بالله انخدعنا له .

الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قَدْ لَّهُمَا غُرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

(من الآية ٢٢ سورة الاعراف)

لفظ دل مأخوذ من دلى حبل الدلو في البئر ليجث عن الماء .. والغرور هو الإغراء الذي يقع الانسان في المخالفة .

وهنا لنا وقفة .. لا يظن أحد أن ابليس أوقع آدم وحواء .. في المعصية على مرحلة واحدة .. بل سبق ذلك مراحل .. فإبليس خدعها أولا ليقتربا من الشجرة ، ثم زين لها ثمارها وحلاوتها ولونها ورائحتها ، ثم بعد ذلك أغراها بالأكل ! أي أن المعصية تمت على مراحل ولم تتم دفعة واحدة .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تعرض الفتن على القلوب عودا عودا كالخسيف) .. لذلك لابد أن نتنبه .. أن الاقتراب من المعصية يوقعنا فيها .

ماذا حدث ؟ .. هل كرر آدم وحواء المعصية .. وأكلا مرات ومرات من الشجرة ؟ .. الحق تبارك وتعالى يقول : « فلما ذاقا الشجرة » .. أي بمجرد التذوق .. ولم يكن هناك أصرار على تكرار المعصية .. إنه بمجرد التذوق ظهرت لها عوراتها .. فقلما يخفائها أو مداراتها .. يورق اشجار الجنة .. ومعنى ذلك انها احتاجا .. الى أكثر من ورقة ليداريا العورة ..

وهنا نرى عدل الله سبحانه وتعالى في أنه حذرهما أولا من

المخالفة .. وابلغهما بالجزاء أو العقاب .. حتى يكون العقاب عدلا وحقا .. ولذلك فإن التشريع الالهي لا يوجد فيه ما يسمى بالقوانين بأثر رجعي .. فلا تجريم في العدل الالهي إلا بنص .. والنص هو نهي الله لآدم وحواء .. أن يقربا هذه الشجرة .. وأن الشيطان عدو لهما .. وقول الحق « ألم أنهيكما عن تلك الشجرة » بصيغة الاستفهام .. معناه أنه لا يوجد الأجواب واحد .. نعم يارب نهيتهما .

لقد كان الهدف من هذه التجربة العملية من الله سبحانه وتعالى .. ليحصن آدم وحواء وذريتهما من الشيطان .. فيعرفا أنه كاذب في كل ما يُعدُّ به .. وأنه يريد بهما السوء .. ولوتظاهر بأنه يريد لهما الخير .. وأن مهمة الشيطان أن يستخدم كل الحيل .. لاغراء آدم وذريته على المعصية .. وأن يستخدم كل الحيل لإيقاع آدم وذريته فيما نهي الله عنه .

ولكن هل انتهت المعركة ؟ .. إنها لم تنته .. ولكنها استمرت وستستمر الى ان تقوم الساعة .



الفصل الرابع



معصية آدم ..
ومعصية ابليس

إنتهينا في الفصل السابق إلى أن إبليس
قد دخل إلى غواية آدم من جهة أن الله
عزيز غني مستغن بذاته عن كل خلقه ..
إن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث
قدسى في هذا المعنى :

(يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في
ملكى شيئا . ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا
على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى
شيئا .. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في
صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك
عندى إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

إذن فمن باب عزة الله .. دخل الشيطان إلى غواية
آدم .. واستطاع إبليس أن يقنع آدم أن الله قد منعه من
الأكل من الشجرة لأنه لا يريد له الخير .. وذلك حتى
نفطن .. إلى طريق إبليس في الغواية .. فلا خير في خير يؤدى
إلى النار والمعصية .. ولا شر في شر يؤدى إلى الجنة وطاعة
الله .

إن الشيطان يحاول أن يصور الشر للإنسان بأنه خير ..
ولذلك صور لآدم أن المعصية خير .. فلما أكل آدم من
الشجرة .. وارتكب المعصية هرب إبليس !

والسؤال الذى يدور هنا .. لماذا غفر الله سبحانه وتعالى
لآدم خطيئته ولم يغفر لابليس معصيته ؟ .. لقد عصى آدم ،
وعصى إبليس .. الأول تاب الله عليه وتقبل توبته .. والثانى
لعنه وجعله خالدا في النار .. ماهو الفرق بين المعصيتين ؟

نقول : إن آدم وحواء حين عصيا الله سبحانه وتعالى .. لم يصرا على المعصية .. ولم يحاولا رد الأمر على الأمر .. انهما لم يقولوا يارب إن حكمك ليس حقا كما فعل الشيطان حين قال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .. لم يفعلا ذلك ولكنها اعترفا بذنبيهما .. وطلبا للمغفرة والرحمة من الله .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

الآية ٢٣ سورة الاعراف

تلك هي الكلمات التي قالها آدم وحواء بعد المعصية .. قالا : يارب ان قولك حق وحكمك حق .. ولكنا لم نستطع أن نحمل نفسينا الضعيفتين على إتباع المنهج .. فظلمنا أنفسنا .. أى أننا مشينا بها في طريق الهلاك .. ونحن نطلب منك المغفرة والرحمة .. فإن لم تعطينا لنا نكبن من الخاسرين الذين خسروا انفسهم يوم القيامة .

وهكذا طلب آدم وحواء من الله ان يتوب عليهما .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ

هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

الآية ٣٧ سورة البقرة

والنوبة تمت على ثلاث مراحل .. المرحلة الأولى : أنه تعالى شرع التوبة لعباده .. المرحلة الثانية : أنهم عندما تابوا قبلها منهم .. والمرحلة الثالثة : من التوبة تكون بعلم عودتهم

إلى المعصية .. بعض الناس لا يستوعب .. قول الحق تبارك
وتعالى :

﴿رُتَابٌ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

من الآية ١١٨ سورة التوبة.

وبعض الناس يتساءل : إذا كان الله قد تاب عليهم فلماذا
وجبت عليهم التوبة ؟ نقول إن تشريع الله سبحانه وتعالى
للتوبة لابد أن يحدث قبل التوبة .. فقوله : « تاب
عليهم » .. أى شرع لهم التوبة ..

قال لهم إذا فعلتم ذنباً أو معصية فتوبوا .. ومادام الله جل
جلاله قد طلب منهم أن يتوبوا فإنهم يتوجهون إليه بالتوبة
فيقبلها الله منهم .

وتشريع التوبة ليس رحمة بالعاصي وحده .. ولكن
بالمجتمع كله .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو لم يفتح باب
التوبة .. لازداد كل من يرتكب معصية في معاصيه ..
فمادامت لا توجد توبة .. ومادامت المعصية تؤدي إلى الخلود في
جهنم .. فكل من ارتكب معصية واحدة .. يملاً حياته
بالمعاصي .. فمادام لا أمل له في الجنة .. فليأخذ نصيبه من
الدنيا .. وبهذا يشقى المجتمع كله .. لأن كل عاص سيزداد
معصية .

وانتشار المعصية لا يعانى منها فرد .. بل يعانى منها
المجتمع .. ولكن الله تبارك وتعالى - بتشريع التوبة - قد رحم
المجتمع من انتشار المعاصي .. فالمعصية الأولى لا تؤدي إلى
الخلود في النار إذا تاب الإنسان عنها ورجع إلى الله .. ولذلك
فإن الإنسان لا يتمادى في المعصية .. بل يذهب إلى جانب
الخير .. فيتوب إلى الله .. ويكثر من عمل الخير فيغفر له

ففيه .. وبذلك يبقى الأمل في جنة الله .. وتبقى الرغبة في الخير .. فينصلح المجتمع ويملاؤه الخير .. فالتوبة رحمة للمجتمع .

إبليس تأبى على أوامر الله .. وزاد ذلك بأنه سيغوى الإنسان على المعصية .. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَ قِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْتِنَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ
ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ
وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾

الآيتين ١٦ - ١٧ سورة الاعراف.

إن إبليس لم يعترف بمعصيته .. بل اصر عليها .. وقال سأفعل كذا وكذا وكذا في اصرار على المعصية .. أما آدم وحواء فقد اعترفا بذنبيهما وهذه نقطة هامة .. لا بد ان نلتفت اليها .. ليتبه الناس الذين يقدمون على المعصية .. ألا يبرروها برد الأمر على الله .. كأن يقولوا تغيرت الظروف .. أو الوقت قد تغير ..

مثلا الذين يتعاملون بالفائدة الثابتة مع البنوك .. وهذه فيها شبهة ربا .. نقول لهم لاتقولوا ان الربا ليس حراما .. وأن الفائدة الثابتة نظام عالمي .. وأن الدنيا كلها تتعامل بها .. وأن الزمن قد تغير .. إلى آخر ما نسمعه في هذه الأيام .. انكم بقولكم هذا تخرجون أنفسكم من نطاق رحمة الله .. إلى نطاق الطرد من رحمته سبحانه وتعالى .

ولكن قولوا يارب .. لم نقدر على أنفسنا .. فاغفر لنا وارحمنا ، وفي هذه الحالة تكون قد اتهمت نفسك بالضعف والغفلة والظلم .. وأبقيت نفسك في نطاق الإيمان ، ولكن أن

ترد الحكم على الله .. وتقول إن الربا ليس حراما .. تكون قد خرجت من الإيمان .. الى الكفر والعياذ بالله .
 فإذا ارتكبت إنسان معصية فلا يحول ان يبرر ارتكابها أو يدافع عنها .. ويدعى انها حلال .. ولا يقول إن الظروف قد تغيرت .. وكان الواجب أن يتغير الحكم .. فإن ذلك فيه رد لأمر الله يخرج الانسان من الإيمان الى الكفر .. ومن الرحمة الى اللعنة .. وهذا هو الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس ..

إبليس عصي وتكبر .. وأدم عصي ، ولكنه اعترف بذنبه .. وحينما اعترف آدم وحواء بذنبيهما علمهما طريق التوبة .. ولولا أن الله جل جلاله علمهما .. لما عرفا كيف يتوبان .. فالتوبة تمت بإيماء من الله سبحانه وتعالى .
 وإذا تدبرنا قول الحق جل وعلا .. نرى أن الحق تبارك وتعالى قال : « قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا » نلاحظ هنا انها تحدثا بصيغة الجمع . انهما لم يقلوا ربنا ظلمنا نفسينا .. لأن الخطاب لا يشمل آدم وحواء فقط بل يشمل ذرية آدم المظمورة في ظهوره .. حيث قال الحق جل جلاله لها :

﴿ قَالِ آمُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مَسَرَقَاتٌ إِلَى الْحِينِ ﴾

البقرة ٢٢ سورة الاعراف

انه يجب أن نتنبه .. إلى الآيات التي تروى لنا عملية المبرط .. فمرة يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قَالِ آمُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا

من الآية ١٢٢ سورة طه

(ومرة يقول جل جلاله :)

﴿فَلَنَأْهِيَكُمْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾

من الآية ٣٨ سورة البقرة

المخاطبون هم آدم وحواء وإبليس .. والعداوة هنا مسبقة بين الإنسان والشیطان .. ولكن قوله تعالى : « أهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو » تین لنا أن العداوة بین طرفین .. آدم وحواء طرف .. وإبليس طرف آخر ، فكأنتها فريقان : آدم وحواء وذريتهما ، وإبليس وذريته .. فلا تعارض . ويجب علينا أن نفهم .. أن استخدام الحق لعبارة بعضكم لبعض عدو .. أنه سيكون هناك صراع وعداء بين ذرية آدم وذرية إبليس .. وأن هذا الصراع مستمر بعمر الدنيا فقط ولا يمتد إلى الآخرة .. ولكنه بالنسبة للشیطان والانسان .. صراع مستمر بعمر كل منهما في الدنيا .. وليس بعمر الدنيا كلها .. فإذا مات الشيطان .. أو مات الانسان انتهى الصراع بالنسبة لهما ، وعمر الجن اكبر كثيرا من عمر الانسان .. واقرا قول الحق سبحانه وتعالى في حق الجن :

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ نَا وَمُوسَى

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

وَالْأَطْرَافِ مُنْقَبِحًا﴾

الآية ٣٠ سورة الاحقاف

فكان هؤلاء الجن .. عاشوا عصر موسى عليه السلام .. وظلوا أحياء حتى نزل القرآن الكريم .. أي مايقرب من ثلاثة آلاف سنة .. ولا يوجد من البشر من عاصر موسى .. وعاصر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام .



صراع في الدنيا

إن الصراع بين الشيطان والإنسان - كما قلنا - فترته محدودة بحياة الاثنين .. ولا يمتد بعد الموت .. ولا يكون في الآخرة ..

الحق سبحانه وتعالى .. يتوجه بعد ذلك بالنصح .. إلى أولاد آدم ليحصنهم من الشيطان .. فيقول جل جلاله :

﴿يَبْنَىءْ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ

وَرِيثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾

من الآية ٢٦ سورة الاعراف

والخطاب هنا موجه .. إلى كل نفس من أولاد آدم لأن كل نفس من أولاد آدم .. لها معركة وعداوة مع ذرية إبليس .. الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أنه أنزل لنا من السماء منهجا .. بستر عوراتنا .. ويدارها .. والانزال يقتضي أن يهبط الشيء من علو .. وكل خير من الأرض يهبط من السماء .. واللباس يصنع مما تنتجه الأرض .. وما تنتجه الأرض لا يكون إلا بالمطر الذي ينزل من السماء ..

ويجب أن نعلم أن الله تبارك وتعالى أنزل المنهج لبستر عورات البشر ، وعورات المجتمعات ، إننا إذا أقمنا المنهج ، فلن تظهر فينا عورات ولا سيئات .. ولأصبح المجتمع متجانسا مترابطا .. فكان الذي أنزله الله من السماء من مطر

يعطينا من الارض الثوب الذى يدارى عوراتنا الحسية . ولباسا من القيم يدارى عوراتنا المعنوية . . بل واكثر من ذلك . . أعطانا الزينة من ريش الطير وغيره كنوع من الرفاهية والمتعة : فكان الحق سبحانه وتعالى أعطانا ترف الحياة . . وجعله حلالا لنا . . وأعطانا المنهج ليستر عوراتنا المعنوية . . فإذا كان اللباس المادى . . يدارى عورة الجسد فى الحياة الدنيا . . فإن لباس التقوى يدارى عوراتنا من فضوح الآخرة . . ولباس التقوى . . أى الذى نتقى به غضب الله سبحانه وتعالى . . هو خير من اللباس المادى . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى عنه :

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

من الآية ٢٦ سورة الاعراف.

إذن فلباس التقوى - الذى هو خير من لباس الدنيا لأنه يقينا غضب الله جل جلاله - هو آية من آيات الله . . لنعرف أننا مكونون من مادة وقيم . . وكما للمادة عورات مادية تظهر إذا نزعنا ثيابنا . . فللقيم أيضا عورات تظهر لعدم التقوى . ثم يأتينا التحذير من الله سبحانه وتعالى :

﴿ يٰبَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۖ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾

من الآية ٢٧ سورة الاعراف.

الله سبحانه وتعالى . . يحذرننا من فتنة الشيطان . . والفتنة هى الاختبار . . فإذا نجحنا فى الاختبار فلن يحدث الفساد ،

ولكنه يحدث إذا سقطنا في الفتنة . . والفتنة ليست شرا ولا خيرا . . بل هي اختبار يأتى لك بالخير ان نجحت ، أو بالشر ان سقطت فيه .

وهكذا جاء التحذير من الشيطان بتجربة عملية لأدم وحواء قبل أن ينزلا الى الأرض . . وهى تجربة التكليف فى الفعل ولا تفعل . . وكانت التجربة كما فى التكليف . . فيها أمر وفيها نهى . . الأمر أن آدم له أن يأكل من كل مافى الجنة التى كان يعيش فيها ، والنهى انه لايقرب شجرة واحدة ، فى هذه الجنة . .

لقد افهم الله تبارك وتعالى آدم أن الشيطان عدوله ، وأنه سيوقعه فى المعصية . . ولكن رغم هذا التحذير . . أكل آدم وحواء من الشجرة فظهرت عوراتهما . . وذلك حتى نعرف أن أى طاعة للشيطان . . لاياتى منها الخير أبدا .

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نعلم أن آدم فيه عنصران . . عنصر البشرية التى تصيب وتخطئ ، وتعصى وتتوب . وعنصر النبوة المعصومة من الخطأ . ولذلك يجب ان نلفظ الى النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ﴾

من الآية ١٢١ سورة طه.

وهذه طبيعة البشر . . وقوله جل جلاله :

﴿ تَرَىٰ أَجْتَبَهُ رَبُّكَ ابْنَ مَرْيَمَ هَدَىٰ ۝ ﴾

من الآية ١٢٢ سورة طه.

وهذا الهدى الذى سيأتى به الانبياء من ذرية آدم . . ولذلك لايجب أن نقول كيف عصى آدم ربه وهونى ؟ لأن معصية آدم

حدثت قبل النبوة ..

وبعد المعصية جاءت النبوة وجاء الهدى .. إذن فالبشرية تنقسم إلى قسمين .. أنبياء يبلغون للناس المنهج عن الله .. وهؤلاء معصومون من الخطأ .. وقسم يبلغهم الله منهجه .. فيطيعون ويعصون ويتوبون .. ولا يقول أحد أو يدعى أن آدم نزل إلى الأرض بسبب المعصية .. لأن الله خلقه وذريته للحياة في الأرض ونهاهم وحذرهم من فتنة الشيطان .. في قوله تعالى : « يا بني آدم لا يفتنك الشيطان » .. هذا التحذير للبشر وليس للشيطان .. فالله جل جلاله لم يقل للشيطان .. لا تفتن بني آدم .. ولو قال له ذلك لخرج الشيطان عن مهمته في الحياة .. ولأصبحت الحياة ليست دار اختبار كما أرادها الله سبحانه وتعالى .. تؤدي بخلقه المختارين إما إلى الجنة .. وإما إلى النار والعياذ بالله :

ولذلك فإن فتنة الشيطان .. هي من تمام ما أراده الله المحياة الدنيا .. لكن بعض الناس يتساءل عن قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

الآية ١٣٢ سورة البقرة.

والنهي هنا للبشر .. والسؤال : هل يملك الناس اختيارا في الموت ؟ هل يستطيعون ان يحددوا وقته وزمانه ومكانه .. فلا يموتون الا وهم مسلمون ؟

نقول ان الحق تبارك وتعالى يريد أن يلفتنا الى ان الموت يأتي
بفته وفي أى لحظة .. فكونوا على الاسلام دائما .. حق
لايفاجتكم الموت .. الا وأنتم مسلمون ..
إن الله سبحانه وتعالى .. يريدنا أن نعرف أن فتنة
الشیطان .. تخرجنا من جنة التكليف التي تقودنا الى جنة
المخلود في الآخرة .. ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ زَلْزَلَتِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُونَ ﴾

من الآية ٢٧ سورة الاعراف

أى أن الشيطان يرانا ونحن لانراه .. وهذا يعطيه قدرة على
الاغواء .. لاننا مادعنا لانراه .. فاننا لانستطيع أن نعرف
الجهة التي سيأتي منها .. أو أن نتنبه الى انه يوسوس لنا .
ولكن هل تركنا الحق تبارك وتعالى للشيطان يغرينا
ويغويننا ؟ .. أم أنه أوجد لنا الوقاية ؟

الحق جل جلاله شاء عدله .. ان يوجد لنا الوقاية من هذه
الوسوسة .. ومن كل هذا الشر .. الوقاية لا تكون الا
بالتمسك بمنهج الله .. والذي يتمسك بمنهج الله ويخلص
له .. لا يستطيع الشيطان أن يصل اليه أبدا .. ولا أن
يغويه .. ولذلك نجد في الآية الكريمة :

فِي عِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ..
اعتراف من الشيطان بأنه لا يستطيع أن يقترب من يتمسك بالله
ويعتصمه لأنه في منعة منه لتمسكه بمنهج الله .

وهنا يأتي قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾

الآية ١٢ سورة الحجر

لقد كفل الحق تبارك وتعالى الحماية لكل عبد اخلص في
 ايمانه بالله .. وأخلص في عبادته .. ولذلك فإن المؤمنين
 يحفظهم الله جل جلاله من غواية الشيطان .. وفي ذلك يقول
 الحق سبحانه في وصف المؤمنين :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

الآية ٢٠١ سورة الاعراف.

معنى هذا أن الشيطان إذا مس عباد الله المؤمنين فإن الله
 لا يتركهم ، وانما يذكرهم بمنهجه .. وحيثذ يبصرون الحق ،
 فيعودون إلى اتباع المنهج .. فكان الذي يتبع الشيطان مثل
 الأعمى .. الذي لا يرى شيئا فيتخبط في السير ويتعثر
 ويقع .. والشيطان يحاول أن يعمى الأبصار .. حتى لا ترى
 الحقيقة .. ولا ترى آيات الله في كونه ولا تبصر شيئا .
 إن الحق تبارك وتعالى يعطينا هذه الصورة وهو يصف لنا
 اتباع الشيطان في الآخرة في قوله سبحانه :

﴿قَالَ رَبِّ احْشَرْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ
 أَتَىكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

الآيتين ١٢٥ و ١٢٦ سورة طه.

أي أن مهمة الشيطان .. أن يعمى الانسان عن آيات الله
 في الكون .. فلا يرى عظمة الخلق .. ولا يرى قدرة الله
 الخالق سبحانه وتعالى .. وعدم رؤيته لهذه الآيات .. ينسيه
 عبوديته لله .. ويجعله يأخذ الدنيا على انها غاية وليست وسيلة
 للآخرة .. ولذلك فهو يحاول أن يأخذ منها كل ما يستطيع
 حلالا أو حراما .. لأنه مادامت لا توجد بالنسبة له إلا

الدنيا .. فمهمته أن ينتزع منها كل مانععطى بطريق مشروع أو غير مشروع .. والمهم عنده ومقياسه في النجاح .. هو ما يحققه من شهوات ونزوات .. وسرقات ورشوة الى غير ذلك ..

هذا الصنف من الناس عندما يأتي في الآخرة يبعثه الله أعمى لا يرى شيئا .. يتخبط ويتعثر .. فاذا سأل عن سبب هذا العمى وقد كان مبصرا في الدنيا .. فيقول له الله .. لقد كنت أعمى في الدنيا .. حقيقة كانت لك عينان ولكنك لم تكن تبصر بهما آيات الله في كونه .. لهذا انطلقت تعصى وتكفر .. فكما نسيت آيات الله في الدنيا .. ينساك الله سبحانه وتعالى في الآخرة أى لاتتالك رحمته في هذا اليوم .. ولذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى أَفْتَوْىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ
وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

الآية ٧٢ سورة الاسراء.

والعمى هنا ليس معناه فقد البصر .. ولكن معناه فقد البصيرة التى يرى بها الانسان آيات الله التى تدفعه الى الايمان .. والى طاعة المنهج ..

ومن رحمة الله انه سبحانه وتعالى فضح لنا أساليب الشيطان .. وكيف يغوى الانسان .. وأبان لنا الطريقة التى يدخل بها إلى النفس البشرية ؟ والوسيلة التى يوقع بها الانسان في المعصية ؟ لقد وضع لنا هذا كله حتى ننتبه الى مداخل الشيطان للنفس البشرية .. لكى نسد هذه المداخل .. فلا ينفذ الشيطان الى نفوسنا ،

فما هى هذه المداخل ؟!

الفصل الخامس



مداخل الشيطان
... إلى الإنسان

الله سبحانه وتعالى .. أخبرنا في القرآن
الكريم .. أن هناك نزغاً للشيطان ..
وهمزا للشيطان .. ووسوسة للشيطان ..
ومساً للشيطان .. فما هو الفرق .. بين
هذه الأشياء كلها ؟ .. وما هي الطريقة التي
يدخل بها - الشيطان - إلى النفس
البشرية ؟ .. وكيف يدفعها إلى المعصية ؟ .. وكيف يخوف
أوليائه ؟ .. وسيطر عليهم بالخوف ؟ .. وكيف يهرب ويترك
الانسان الساقط في المعصية ثم يتبرأ منه بعد ذلك ؟

قبل أن نبدأ .. لا بد أن نقول أن للشيطان وسوسة. وللنفس
البشرية وسوسة ودفعاً إلى المعصية .. ذلك أن الله سبحانه
وتعالى .. أخبرنا في القرآن الكريم .. أن النفوس
تفاوت .. هناك النفس الطيبة .. والنفس اللوامة ..
والنفس الأمارة بالسوء .

فالنفس الطيبة هي التي لا تفعل الا طيباً والا خيراً ،
والنفس اللوامة .. هي التي يقع صاحبها في المعصية ، ولكنها
تلومه عليها .. فيعود الى الخير مرة أخرى ، وقد يقع الإنسان
في المعصية اكثر من مرة .. والنفس الأمارة بالسوء .. هي التي
اعتاد صاحبها السوء .. فلم يعد يثير فيه أى شعور بالندم
والاستنكار .. بل هو يعيش مع السوء .. ويأمر بالسوء وقد
اعتاده ، بحيث أصبح لا يفعل الا سيئاً .. ويستمتع بذلك
السوء !

هناك نوعان من الوسوسة .. وسوسة الشيطان بالنسبة
للإنسان .. ووسوسة النفس له .. فكيف نفرق بين وسوسة
الشيطان .. ووسوسة النفس ؟

ونقول : ان الشيطان يريد الانسان عاصيا على أى وجه ..
فلا يهمه نوع المعصية .. ولكن يهمه حدوثها .. فاذا حاول
أن يغري الانسان بالمال الحرام .. ولم يجد منه استجابة ..
أسرع بزين له المعصية مع النساء بارتكاب الزنا والفاحشة ،
فاذا فشل فى ذلك .. أسرع بزين له معصية الخمر .. ويحاول
أن يغريه بها ، فإن سد عليه كل منافذ المعصية .. أسرع
يحاول أن يفسد له الطاعة بأن يجعله مثلا يتفاخر بالصدقة
فيضيع ثوابها .. أو إذا جاء موعد الصلاة .. فإنه يحاول أن
يمنعه من أدائها .

ويجب ان تعلم أن هذا الاغواء لا باقى قسرا أو قهرا ..
فالشيطان ليس له سلطان القهر على الانسان .. ولكن إذا اذن
للمصلاة - مثلا - فإنه يغريه ألا يقوم الى الصلاة .. وانما
يؤجلها حتى ينتهى الفيلم الذى يشاهده فى التلفزيون .. فإذا
انتهى الفيلم .. يذكره بأعمال يؤديها .. كأن يتصل بصديق له
بالتليفون .. أو يتناول العشاء أولا .. أو يقوم بزيارة كان قد
نسيها . الى غير ذلك من أفاعيل الشيطان .

فإن كان الانسان تاجرا .. فإنه يخوفه من أنه اذا قام
للمصلاة فستضيع منه صفقات ويضيع منه ربح .. وهكذا يظل
ينقله من مشكلة الى أخرى .. حتى يضيع وقت الصلاة .. أو
ينصرف عنها بالتدريج .. فان فشل فى ذلك .. فإنه يوسوس

له في وضوئه وصلاته .. فيقول له انك لم تحسن الوضوء
فأعده .. ويظل يشككه في وضوئه .. حتى يعيده مرات
ومرات .. ثم بعد ذلك يشككه في صلاته .. حتى يعيدها
مرات ومرات .. ويدخل الشك في نفس الإنسان ..
فلا يعرف كم صلى .. ولا يعرف هل أحسن الوضوء أم لا .

.. إذن فالشيطان لا همه نوع المعصية .. ولكن همه أن
تتم المعصية .

أما وسوسة النفس .. فهي أن تصر على نوع معين من
المعصية .. لا تريد غيره .. أي أنها تلح على صاحبها أن
يرتكب معصية بذاتها ويكررها .. ولا تطالبه بمعصية أخرى .





الفرق بين الوسوستين

ولكى تعرف الفرق بين الوسوستين نقول لك .. إذا كان من يوسوس لك لا يبعه إلا أن تقع في المعصية .. بصرف النظر عن نوعها .. فهذا هو الشيطان .. أما إذا كان هناك إصرار على معصية معينة ألفتها .. فذلك من نفسك .

إن إبليس دائما يأتي من الباب الذي يرى فيه المنهج ضعيفا .. فإذا وجد إنسانا متشددا في ناحية معينة ، يأتي إليه من ناحية أخرى يكون فيها ضعيفا .. فإذا كان الإنسان مثلاً .. متشدداً في الصلاة محافظاً عليها ويؤديها في أوقاتها .. . جاءه إبليس من ناحية المال ، فبوسوس له حتى لا يخرج الزكاة ويقتري ، ويأكل أموال الناس بالباطل ، مدخلا في نفسه الوهم بأن هذه الطريقة تزيد ماله .. وتجعله غنيا وتبعد عته الفقر .. . والحقيقة غير ذلك .. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما نقص مال من صدقة) .. لأن الصدقة هي التي تكثر المال .. وتضع بركة الله فيه ليزداد وينمو .. والمال هو مال الله .. يتركه كل منا عندما يرحل عن الدنيا .. ولكن غير المؤمن يغفل عن هذه الحقيقة .

وحيثما يجد إبليس إنسانا متشدداً في الصلاة .. يحبا للمال .. يأتيه من ناحية ضعفه فيمنعه من الصدقة وأنواع

البر ، ثم يغريه بالمال الحرام ، وتبدأ المعاصي تنسج على قلبه
عودا عودا . . لتغطي القلب كله وتمنعه من ذكر الله .

ولعلنا نذكر قصة ثعلبة الذي طلب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يدعو له الله أن يغنيه . . فقال له رسول الله
عليه الصلاة والسلام : « قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه » . . ولكن ثعلبة أصر . . فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم . . فكثر غنمه حتى ضاقت بها المدينة . .
فخرج الى خارجها . . وبدأ ثعلبة يغيب عن الصلاة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم . . فيحضر مرة ويتخلف مرة . .
حتى اقتصر على صلاة الجمعة . . ثم امتنع عن صلاة
الجمعة . . ثم امتنع بعد ذلك عن دفع الزكاة . . مدعيا انها
جزية . . حتى نزل فيه قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُوفِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا
بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَنَبَاكَأُوا بِكَذِبُونَ ﴾

(الايات من ٧٥ - ٧٧ سورة التوبة)

وعندما نزلت هذه الاية الكريمة . . انزعج ثعلبة واسرع
بحمل مال الزكاة . . الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
فلم يقبله منه . . وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . .

أسرع يحمل الزكاة الى أبي بكر . . ولكن ابابكر رفض أن
يقبلها منه قائلا : ما كنت أقبل ما رفضه رسول الله صلى الله
عليه وسلم . . وعندما جاء عهد عمر بن الخطاب . . عرض
ثعلبة الزكاة على عمر . . فرفض أن يقبلها منه . . ومات ثعلبة
في عهد عمر بن الخطاب .

. . هذه قصة ترينا كيف استغل الشيطان حب المال في
قلب عبد من عباد الله . . ليخرجه عن الطاعة وعن المنهج . .
وليقلده الى المعصية . . والى الكفر والعباد بالله ، والأمثلة على
ذلك كثيرة . . إنه يبحث عن نقطة ضعف في الانسان لكي
ينفذ اليه منها ، ولا يفتر عن ذلك ابدا حتى يوقعه في حباله
ويخرجه عن منهج الله .





البحث عن الضعف

وهكذا تعدد صور الاغواء ، فإذا وجد ابليس العبد المؤمن متشددا في الصلاة والزكاة .. وضعيفا من ناحية المرأة مثلا .. أتاه من ناحية هذا الضعف .. فيظل يزين له امرأة خليعة .. ويوسوس له حتى يسقط في الزنا .. ويكون بذلك قد سقط في الكبائر ..

فإذا كان العبد المؤمن قويا في كل هذه النواحي .. جاءه ابليس وزين له الخمر .. أو الميسر أو مجلس السوء أو النيمة .. المهم أن ابليس يترك للإنسان فقط تشدده ويأتيه من نقط ضعفه ..

إياكم أن تظنوا أن الشيطان حين يغوى الإنسان .. يأتي له عن طريق شر ينفر منه .. بل إن ابليس يلبس هذا الشر لباسا خادعا يجعله محببا إلى النفس .. سهلا عليها مرغوبا فيه .

فإذا كان إنسان يعاني ضيقا ماليا .. يأتي له ليحييه في السرقة ويزينها له .. فهو أولا يوسوس لمن يريد أن يدفعه الى السرقة .. بأنها عملية بسيطة .. مستم بسهولة ولن تنكشف .. كأن يقول له ادفع هذا الرجل .. الذي يملك مالا الى الأرض .. ثم تظاهر بأنك تساعد .. على النهوض

والوقوف مرة أخرى .. وفي هذه الأثناء .. التي لا يكون فيها متنبها .. اسرق حافظة نقوده ..

انه هنا يسط له الأمر ، ويلبس الشر بلباس خادع .. يأتي مثلا يغري إنسانا بسرقة حقيبة .. فيبين له مكان شيخ كبير يحمل حقيبة ثقيلة .. ويقول له اعرض عليه أن تحملها عنه لتعينه .. لأنه شيخ ضعيف .. وعندما تأتي لتحمل الحقيبة .. يوسوس لك .. غافل صاحبها واهرب بها .

يأتي الى انسان .. ليغريه على أن يمد يده لمال حرام .. ويكون هذا الانسان مثلا يعمل صرافا .. فيوسوس له أنه محتاج للمال الذي في خزينته .. وأنه سيأخذه كسلفة فقط .. ويعيده عندما يتيسر حاله في القريب العاجل .. ويمد الصراف يده الى المال الحرام .. ولكنه لا يستطيع أن يرده ..

ان الشيطان ليس أبله .. بحيث يأتي لك بصورة الشر .. على أنه شر .. ويذكرك بما ستعرض له من العذاب في الدنيا والآخرة .. بل إنه يتسلل لك على أساس أنه خير لك .. والشيطان يجري في الانسان مجرى الدم ..

ان من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه كشف لنا اسلوبه .. حتى نستطيع أن نقى أنفسنا منه .. والشيطان لا يتركك أبدا ما دمت على طاعة .. بل يحاول أن يغذ اليك من ناحية بعد أخرى حتى يوقع بك .. إلا اذا استعنت بالله دائما واستعنت به .. فإنه لا يستطيع أن يغذ اليك ولا يكون له عليك سلطان .



الوسوسة في الصلاة

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طريق يستخدمه الشيطان دائما في الايقاع بخلق الله في المعصية . . فقال تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ
رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الآية ٩٠ سورة المائدة)

وهكذا فإن كل من أخذ طريق الخمر . . أو القمار أو
التقرب للأصنام . . أو محاولة ضرب الاحجار أو قراءة
الورق . . أو أى نوع من أنواع الدجل لمعرفة الغيب . . فإنه
يرتكب عملا من الاعمال التى يزينها الشيطان للإنسان . .
ليصرفه عن عبادة الله ويوقعه في الحرام .

الله سبحانه وتعالى حذرنا من ذلك . . فقال :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾

(من الآية ٩٢ سورة المائدة)

هذا التحذير ليعلمنا الله أن الشيطان لن يدعنا ندخل في
مجال طاعة الله وطاعة الرسول . . وسيحاول جاهدا أن يمنعنا

من ذلك . . . فاذا أوصدنا كل السبل . . . يأتي لحظة الوضوء . . .
 فيجعلنا ننسى هل غسلنا أيدينا أم لا . . . وهل توضأنا كما ينبغي
 أم لا . . . ثم يأتي وقت الصلاة . . . فينسينا عدد الركعات . . . أو
 عدد السجادات . . . وهذا ليس علامة سيئة . . . ولكنها علامة
 لصالحنا . . . فالشيطان لا يقترب من الشيء الخرب أبدا . . . فلو
 كانت صلاتنا غير مقبولة ما اقترب منها . . . ولكن اقترابه
 منها . . . معناه أنها مقبولة . . . وأنه يريد أن يفسدها . . . ولذلك
 ما يكاد الانسان يبدأ الصلاة . . . حتى يذكره بأشياء نسيها . . .
 ويوسوس له محاولا أن يفسد صلاته .

ومن وسوسة الشيطان أيضا . . . أنه يغرينا بمعضية رسول
 الله صلى الله عليه وسلم . . . ويقول لنا : هذا الأمر لم يرد في
 القرآن فلا تطيعوه . . . مع ان الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

(من الآية ٥١ سورة الفجر)

وفوض الله تبارك وتعالى . . . رسوله صلى الله عليه وسلم في
 التشريع . . . فقال :

﴿ وَمَا أَسْكُرُوا الرَّسُولَ فَذُرُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(من الآية ٧ سورة الحشر)

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك
 الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيئنا

وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال
استحللناه ، وما وجدنا ما فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن
ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) .

ووسائل الشيطان في الاغواء متنوعة .. فمنها التزغ ومنها
الهمز ، ومنها الوسوسة .. والمس ..

فكلمة تزغ معناها نخس .. وهي تختلف عن اللمس ..
لأنه بين الناخس والمنخوس مسافة .. أما المس فهو مباشرة
بلا مسافة ، ولكن لا تدرك ولا تحس بحرارة من مس .. أما
اللمس فإنه إدراك حرارة الملموس ..

اذن فهناك ثلاث مراحل .. التزغ والمس واللمس ..
والتزغ من الشيطان هو أن يدخل خاطرا مهيجا الى نفسك ..
فبشير فيها الغضب .. ويجعلك الغضب تتصرف تصرفا
أحق .. لا يتفق مع العقل ولا من الدين .

لهذا عندما خاطب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم
ربه .. قال كيف يارب أتقى الغضب ؟ قال الحق سبحانه
وتعالى :

﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاصْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ

(من الآية ٢٠٠ سورة الاعراف)

ونحن لا نبحث هذه المسألة .. بالنسبة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم .. وإذا كان بعض الناس يتساءل .. هل

الشیطان يستطيع أن يترغ رسول الله عليه الصلاة والسلام ..
نقول لهم إن الآية لم تقل (إذا) .. إنما قالت (إما) ، وإما
معناها أنه يجوز أن يحدث ذلك ويجوز ألا يحدث .. إذن
فالمسألة فرض فيه شك .. وعدم تأكيد لشيء لن يحدث ..
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ولكن لنفرض أنه حدث .. فلماذا يحرم الله رسوله صلى
الله عليه وسلم من لغة مواجهة الشيطان ليصفعه ويهزمه ؟
رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (ما منكم من أحد
إلا وقد وكل به قرين من الجن ، قالوا وإياك يا رسول الله ،
فقال وإياي .. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني
إلا بخير) .

والشيطان ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب
إلى المسجد .. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : إن
عفريتاً من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة فأمكنني
الله منه فذغذته (خنقته) فأردت أن أربطه . إلى سارية من
سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم . فذكرت
قول أخى سليمان : رب اغفرى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد
من بعدي فرده الله خاسثاً ..

إذن فالمواجهة حدثت .. وكانت هزيمة الشيطان سريعة ..
والله سبحانه وتعالى طلب من رسوله صلى الله عليه وسلم أن
يستعِذ به ، والاستعاذه هي طلب المعونة .. وأنت لا تطلب
المعونة إلا ممن هو أقوى منك .. وأقوى ممن يحاول الاعتداء
عليك .



تفوق عنصر الشيطان

الشيطان له خصوصيات كثيرة .. يتفوق فيها على الانسان .. منها خفة الحركة .. وعدم قدرتنا على رؤيته .. وقدرته على التغلغل في نفوسنا .. اذن فمطلوب منا .. أن نستعين بمن هو أقوى قادر .. ولا يوجد أقوى على الشيطان من خالفه .. والله سميع عليم .. يسمع استعاذتنا .. ويعلم بما نستعيذ ..

ويجب أن نلاحظ .. أن الله عز وجل .. قد فرق في الحديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته .. فعندما خاطب رسوله عليه الصلاة والسلام قال : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .. ولكن عندما خاطب أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إِنَّ الَّذِينَ آتَوُاْ إِذْ مَسَّهُمْ طَٰفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

(الآية ٢٠١ سورة الامراء)

اذن فعندما تكلم الحق عن المؤمنين .. انتقل الى المس .. ولكن من رحمته أنه لم ينتقل الى مرحلة اللمس (الالتحام) ..

فالشيطان لا يتلحم بإنسان مؤمن . . وإنما يكون على مسافة قريبة منه . . ماذا يحدث في هذه الحالة ؟ . . يتذكر المؤمنون قدرة الله عز وجل على الشيطان . . ويتذكرون أن منهج الله بحميتهم من الشيطان . . وعين الله لا تغفل عن عباده أبدا . . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في حديث قدسي :

(يا عبادي إن كنتم تعتقدون أني لا أراكم فالخلل في إيمانكم ، وإذا كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم)

وكما قلنا فإن الشيطان . . أكثر حركة وإغواء بالنسبة للمؤمنين . . لأن العاصي عاون الشيطان بشهوات نفسه . . وأصبح يعبد شهواته . . فلم يعد الشيطان محتاجا إلى جهد كبير . . ليقوده إلى المعصية . . أما المؤمن الطائع . . فإنه محتاج إلى جهد كبير . . ليقع في المعصية .

قلنا إن الشيطان له نزغ . . وهمز . . ووسوسة . . ومس . . وتحدثنا عن النزغ وهو كما قلنا أن يأتيك الشيطان بخاطر . . يثير فيك الغضب فتفقد عقلك . . وترتكب ما يغضب الله في نزوة الغضب .

أما الهمز فهو ما يلقيه إليك الشيطان . . بصوت خافت محاولا أن يدبر لك ما تفعله لتنفيذ معصية . أما الوسوسة فهي المحاولة الدائمة للشيطان . . يأتي لك من الجانب الضعيف . . محاولا أن يجيب إلى نفسك الخروج عن طاعة

الله .. وهذا هو العمل الدائم للشيطان .. هذه مهمته .

ولكن ما هو المس ؟ .. الله تبارك وتعالى يقول عن الذين يأكلون الربا :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطَأُ

الشَّيْطَانَ مِنَ اللَّيْلِ ﴾

(من الآية ٢٧٥ سورة البقرة)

فكان الشيطان قد مس التكوين الانساني .. مما أفسد استقامة ملكاته .. التكوين الانساني له استقامة من الملكات .. بحيث تنسق كل حركة مع غيرها .. فإذا ما مس الشيطان أحدا من البشر .. فإن هذا الانسان الممسوس يفقد انسجام حركات جوارحه .. فتتخبط ملكاته مع بعضها البعض وتكون حركاته غير منتظمة وغير منطقية .

إذا أردنا هذا الوصف في الآخرة .. فهي سمة تميز اهل الربا .. وإذا أردناها في الدنيا .. فهي سمة لحركة الانسان غير المنطقية .. بحيث أن الحركة تتسم بالهستيريا .. وعندما نتأمل العالم الآن وما يحدث فيه .. نجد أن الاضطراب والحركات الهستيرية تسوده .. كأن يدخل انسان الى مدرسة أطفال .. لا يعرفها وليس له عدا لمن فيها .. ويقتل كل الأطفال بلا سبب .. أو أن يأتي انسان الى انسان لا يعرفه .. ويلقى به تحت عجلات المترو .. كما يحدث في نيويورك هذه الأيام .



التكامل .. وليس التكرار

والله سبحانه وتعالى .. خلق العالم على هيئة التكامل وليس التكرار .. ولذلك تنوعت الملكات والامكانيات .. وارتقى الانسان في الكون وتقدم .. وكان المنطق يقتضى أن يعيش العالم مستريحاً ومزدهناً .. لأن الحضارة وفرت له أكبر الثمر .. بأقل مجهود وفي أقل زمن .

ولكن هل العالم الذى نعيش فيه عالم منطقى على هذا الواقع ؟ .. لا .. اننا نجد أغنى بلاد العالم .. وأحسنها من ناحية الرقى الاقتصادى .. هى التى تمتلئ بأمراض النفس .. من قلق وغم واكتئاب .. وحزن واضطراب وشذوذ وانتحار .. ذلك أن العالم الذى نشكومه الآن لا يسير بمنهج الله .. ولكن يسير بهوى النفس وإغواء الشيطان .. ولذلك أصيب العالم بالهستيريا والتناقض والتخبط .. إن العالم وما يجرى فيه يبدو الآن .. مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لَا يُقِيمُونَ إِلَّا كَيْفُومُ الَّذِي يَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾

(من الآية ٢٧٥ سورة البقرة)

فلماذا لم يبحث المفكرون عن سر هذا الشقاء ؟ .. ألم يكن على المفكرين أن يسألوا أنفسهم .. لماذا نشقى كل هذا

الشقاء ؟ .. وعندنا من التقدم المادى ما يكفل سعادة البشر ..
لماذا لم يبحثوا ؟ .. وكان يجب أن يفعلوا ذلك .

وإذا كانت البلوى عامة كما قلنا .. فإنها لا تترك
دولا متخلفة .. ولا دولا متقدمة .. ان البلوى تشمل البلاد
كلها .. ولذلك لابد أن يكون لها سبب مشترك .. والبحث
لابد أن يقودنا الى أن العالم قد ابتعد عن منهج الله ..
فأصبحت الدنيا عندنا غاية وليست وسيلة .. والمآل أصبح
عندنا هدفا .. وليس مجرد مسألة لازمة لحركة الحياة وعمارة
الأرض .. فالمآل هو مال الله .. لا يملكه أحد .. وعندما
نموت .. نترك مال الدنيا للدنيا .. فلماذا غيروا
استخدامه ؟ .. وجعلوه غاية ؟ ! والجواب فى كلمة واحدة :
انه البعد عن منهج الله .

ان الدنيا كلها .. لا يمكن أن تكون غاية .. أولا لأنها فترة
محدودة وتنتهى ، وثانيا لأن متاعها قليل ، وثالثا لأن البقاء فيها
ليس مضمونا .. فأنت لا تضمن الحياة فيها الى الساعة
القادمة ..

وإذا أردنا أن نحدد مهمة الشيطان فى كلمات قليلة .. فإن
أساس هذه المهمة .. أن يجعلنا ننسى أن الله موجود .. وأنه
يسمع ويرى .. فالإنسان لا يسرق أو يزن أو يقتل .. وقد
استحضر فى ذهنه أن الله يراه .. وأنه سيعاقبه على
ما يفعل .. أنه لو استحضر ساعة الجريمة العقوبة عليها لما
أقدم على جريمته .. ولكن الشيطان مهمته .. أن يجعلنا ننسى

أن الله موجود .. فالذى يرتكب معصية فى الخفاء .. يعتقد
أنه مادام اختفى عن أعين الناس .. فإن أحدا لم يره ..
وينسى أن الله يسمع ويرى .. ولا تخفى عليه خافية .

وفى ختام هذا الفصل نقول : أن منهج الشيطان .. هو أن
يكشف نقط ضعف الإنسان لينفذ منها .. وأنه يصور لنا
المعصية فى صورة محبة الى النفس .. فيغلفها بصورة زائفة
للخير .. وأن شغله الشاغل .. هو مع الطائعين لله ..
لا يتركهم أبدا .. وأنه ينزغ الإنسان بما يثير فى نفسه
الغضب .. ويهمس له بما يسر له الشر .. ويوسوس له
بما يزين له المعصية .. ويجعلها محبة الى نفسه .. فإذا تمكن
من الإنسان مسه .. فأفقده انسجام حركاته .. فتصبح
تصرفاته نوعا من الهستيريا والتخبط .. والشيطان له طرق
اغواء متعددة والله سبحانه وتعالى يعين المؤمنين من عباده على
مقاومته ومخالفته ويترك له عباده الكافرين ليزيدهم ضلالا
ومعصية .. والله جل جلاله .. لا يعين كافرا به ولا يهديه .

الفصل السادس



الشيطان وجنوده

وإذا أردنا أن نكمل الصورة .. فإننا
نقول : إن هناك جنودا للشيطان .. جنودا
مادية من الإنس والجن .. وجنودا معنوية
يستخدمها في اضلاله للناس .

ولكن قبل أن نبدأ الحديث ، وحتى
تكون الصورة واضحة فإنه لا الشيطان
ولا جنوده يخرجون عن أمر الله الفعلي في كونه .. والله سبحانه
وتعالى أعطانا تجربة عملية .. بأن أخضع الشياطين الذين هم
أعلى عنصرا في الخلق .. لبشر نبي هو سليمان عليه
السلام .. وجعلهم يأتقرون بأمره ولا يستطيعون مخالفته ..
واقرا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ
مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِئَا نَذَرْنَاهُ لِعَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

من الآية ١٢ سورة مباء.

وهكذا أخضع الله سبحانه وتعالى الجن - شياطينهم
وصالحهم - .. كما قلنا - لبشر مخلوق من طين .. هو سليمان
عليه السلام .. ولو أراد الحق سبحانه وتعالى .. أن يخضع لنا
شياطين لأخضعهم لنا .. لأن الله جل جلاله .. استجاب
لدعوة سليمان حين دعاه يطلب ملكا لا يعطيه الله لأحد من
بعده .. واقرا في القرآن الكريم :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۚ

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۚ فَتَنَزَّلَ إِلَيْهِ الرِّيحُ فَجُيَّ بِأَمْرِ رَبِّهِ رُجَاءَ

حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيْطَانُ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٥﴾

الآيات ٢٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ سورة هـ

إذن فالحق سبحانه وتعالى . . حين أراد أن يخضع الشياطين
للإنسان أنخضعهم رغم إرادتهم قهراً . . فلا يعتقد أحد أن
الشياطين في الأرض تقوم بما تقوم به . . رغماً عن إرادة الله في
كونه . . بل كما قلنا هي من تمام مهمة الدنيا أن يكون فيها
إغواء . . وفيها جهاد وإيمان . . وأن ينتصر المؤمنون بجهادهم
وإيمانهم . . على اغواء الشيطان فيستحقوا الجنة .

إن الشيطان كما قلنا له جنود مادية وجنود معنوية . . ومن
أكبر جنود الشيطان المعنوية الغرور . . فهو يظل يحوم حول
الإنسان حتى يدخل إلى قلبه الغرور المعنوي والمادى ويحاول أن
يجعله يغتر بماله . . أو بعلمه أو بقوته . . أو بأي شيء آخر . .
المهم أن يغتر الإنسان . . وبحسب أنه استغنى عن الله تبارك
وتعالى . . وينسب الفضل إلى نفسه . . فيقع في المعصية
والكفر .



الشیطان فی بحر

ولنتظر ماذا فعل الشيطان في غزوة بدر مع الكفار ليحرضهم على قتال المؤمنين .. إن القرآن الكريم يروى لنا هذه القصة .. فيقول :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ
الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءِ الْفِئَتَانِ
نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

الآية ٤٨ سورة الأنفال

هكذا كان دور الشيطان في غزوة بدر .. بدأ بزرع الكبر في قلوب الكفار .. وقال لهم ستغلبون وتتصرون على المسلمين .. إنكم الأقوياء في العناد .. وفي العدة .. وأنهم قلة بالنسبة لإعدادكم .. انكم ستغلبونهم حتما .. وأنا معكم سأنصركم ..

وظل يدخل الكبر في نفوس الكفار .. ويزين لهم أنهم أقوياء .. وأنهم متصرون لا محالة .. حتى صدقوه وذهبوا ليحاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين ..

وعندما وصل الكفار إلى موقع المعركة وأصبح القتال حتمياً ، نظر الشيطان ورأى قوة الإيمان .. وبأس المؤمنين وتأيد الله لهم .. فأسرع هارباً تاركاً أوليائه الذين وعدهم بأنه لا غالب لهم .. أسرع هرب بعيداً .. وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

« إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » .

هنا يتوقف بعض الناس .. ليقولوا كيف يقول الشيطان إني أخاف الله .. وإذا كان يخاف الله تبارك وتعالى .. فلماذا المعصية والاصرار على المعصية ؟ .. وماذا يخيف الشيطان .. وهو مطرود من رحمة الله .. ملعون رجيم خالد في النار هو وكل من تبعه ؟ ..

نقول : إن الشيطان يخاف العذاب الذي ينتظره في الآخرة .. وهذا الخوف يملأه رغم كل ما يفعله في الدنيا .. إنه يتبرأ من كل معصية تمت على يديه .. ويحاول أن يتنصل منها ويهرب من مسئوليتها أمام الله .. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى .

﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَا كُفْرَ قَالَ إِنْ

بَرِّئَ مِنْكَ إِنْ أَخَافَ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

آية ١٦ من سورة الحجر

وهكذا يحاول الشيطان أن يتنصل من مسئولية إغواء الإنسان بالكفر والمعصية . حتى يوم القيامة ، عندما يقف أمام الله ، يلقي اللوم كله على الإنسان .. ويحاول أن يهرب من المسئولية .

ويعطينا الحق سبحانه وتعالى صورة لهذا المشهد . . في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

« الآية ٢٢ سورة ابراهيم »

إن الشيطان . . الذي زين للناس كل المعاصي والكفر ، يأتي يوم القيامة ويتبرأ مما فعل ، ويحاول أن يلقي اللوم كله على الانسان . . ويقول إنني لم أفعل شيئا . . إلا أنني دعوتكم فاستجبتم لي . . ولولا أنكم في أنفسكم تريدون الكفر والمعصية وتميلون إليهما ، ما كنت قادرا على أن آخذكم إلى معصية الله . . فلا تلقوا اللوم على . . ولكن ألقوه على أنفسكم ، لأنكم استمتعتم إلى إغوائى . . ولم يكن لي سلطان أن أقهركم على المعصية وهذه حقيقة ، لأن الشيطان لا يملك أن يقهر إنسانا على معصية الله جل جلاله .



لا عقاب على القهر

إن من دلائل رحمة الله بعباده أنه يسقط عنهم كل عمل يتم قهرا حتى يكون الحساب عدلا . . فكل ما يقهر الانسان عليه ويفعله رغم ارادته لا يحاسب عليه يوم القيامة . . مصداقا لقول الحق سبحانه :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مِنْ كُفْرَةٍ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾

من الآية ١٠٦ سورة النحل.

وهكذا فإن الذي يكره على إعلان الكفر - وقلبه مؤمن - لا يحاسب على ذلك . . ولقد جعل الله تبارك وتعالى . . منطقة الحساب - وهي ما يعتقده القلب - لا يمكن أن تخضع لأي إكراه . . فانت تستطيع أن تخضع الإنسان . . ليفعل ما تريد رغما عنه . . ولكنك لا تستطيع أن تكره قلبه أبدا على أن يحبك وهو يكرهك ، ولا أن تخضع القلب قهرا ليؤمن بما لا يريد أن يؤمن به .

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الشيطان ليس له سلطان على الإنسان . . والسلطان إما أن يكون سلطان القهر . . بحيث يجعل الإنسان يعمل شيئا رغما عنه بالقوة ، وإما سلطان الحاجة بحيث يقنع الإنسان بأن يفعل شيئا فيفعله بإرادته . .

والشيطان في كلتا الحالتين لا يملك سلطان القهر ولا سلطان
الحجة .. ولكنه - كما قلنا - يغذ من جوانب الضعف في
الإنسان .. فيزين له ما تمناه نفسه حتى يقع في المعصية .
والآية الكريمة تقول :

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » .

مصرخكم .. أي أسرع لتجلبته ليزيل أسباب صراخه ..
وفي هذه الحالة لابد أن يكون من القوة بحيث يستطيع أن يزيل
أسباب الصراخ .. فإذا هاجم لص شخصا وصرخ طالبا
النجدة ، فإنه لا يجب لتجلبته إلا إنسان قوى يستطيع أن
يتغلب على المهاجم ، ولكن إذا كان الذي سمع الصراخ شيخ
ضعيف فإنه لا يستطيع أن يصرخه ، أو يزيل سبب
صراخه ..

إن الشيطان يقول .. أنا لا أملك القوة لأزيل سبب
صراخكم من العذاب الذي أنا ذاهب إليه معكم ، ثم يترا
من الذين كفروا بسبب إغوائه .. ويحاول أن يتصل من
المسئولية فيقول كما يروى لنا القرآن الكريم :
« إلى كفرت بما أشركنون » .

إذن قلول جنود الشيطان هو الفرور ، بأن يصور للإنسان
أنه يستطيع أن يحقق بقلته ما يشاء ويجعله يعبد نفسه . أو يعبد
عقله ، أو يعبد الأسباب ، أو يعتقد أنه أقدر من الله سبحانه
وتعالى على التشريع ، فيترك منهج الله وفوائده ويشرع نفسه بما
يسمونه القوانين الوضعية إلى آخر ما نراه ..

ويجب أن نعلم أن الشيطان له جنود مائون .. هم
شياطين الإنس والجن ، وأولئك هم الذين اتبعوه واتخذوا

منهجه .. يقاتلون من أجل الباطل .. ويحاربون الحق ..
ويستخرون من المؤمنين ، وهؤلاء يقول عنهم الله سبحانه
وتعالى :

﴿ اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَانْهَهِ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ
حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

الآية ١٩ سورة النجم

حزب الشيطان هؤلاء .. يحاولون نشر الإلحاد ..
ويقاومون كل دعوة للحق .. ويقفون أمام رسالات السماء ..
يصلون عنها الناس .. وتصل المسألة إلى حد القتال ..
مصادقا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يَمْتَلِئُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَمْتَلِئُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾

من الآية ٧٦ سورة القصص

وهناك شياطين الجن وشياطين الإنس .. شياطين الإنس
هم الذين يكون لهم الشيطان قرينا .. أى يكون مقترنا
بالإنسان .. وعندما يكون الشيطان قريبا وملازما للإنسان ..
يكون الإنسان قد وصل إلى قمة المعصية .. لأنه مادام
الشيطان ملازما لشخص ما ، فهو لا يدفعه إلى الخير أبدا ..
بل يدفعه دائما إلى الشر .. لأنه قرين سوء ..

وهكذا دائما قرناء السوء يساعد بعضهم بعضا ، ويقوى
بعضهم قلوب بعض على اقتراف الآثم .. تراهم وقد اجتمعوا

على المعصية .. فى كل ليلة يجتمعون فى منزل أحدهم ..
ومعهم الخمر والنساء ويرتكبون كل ما يغضب الله .. وتربط
بينهم المعصية فى الحياة الدنيا برباط قوى متين .. ولكن فى
الآخرة يتبدل الحال ، ويكونون أعداء لبعضهم البعض .

على أن الله سبحانه وتعالى .. شرح لنا ماذا يفعل الشيطان
فى قرينه .. فقال كما روى لنا القرآن الكريم :

﴿ وَلَا ضَلَالَهُمْ وَلَا مَلَأْنَاهُمْ وَلَئِنْ كُنَّا

ءَاذَانًا لَّانْقَمِمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيَحْيِيَنَّ اللَّهُ وَمَنْ

يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ

خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴾

، الآية ١١٩ سورة النساء

هذا هو ما يفعله الشيطان مع قرنائه .. إنه أولا
يضلهم .. أى يبعدهم عن منهج الحق .. ويفسد لهم هذا
المنهج .. وقد كانت الشياطين قبل نزول القرآن تسترق السمع
فى السماء على منهج الله .. فإذا علمت شيئا منهم .. أسرعوا
إلى قرنائهم من الكهنة والسحرة وغيرهم .. وأبلغوه بما سمعوا
من المنهج محرفا .. بعد أن يضيفوا اليه ما يجعله وسيلة
للضلال .. ويخفوا منه كل ما يهدى الإنسان ، ثم يضيف
الكهنة بدورهم إلى المنهج ما يحقق لهم السلطان فى الدنيا ..
ويدعون أنه من عند الله .. وهو ليس من عند الله ..
ليفسدوا به فى الأرض .. ويضلوا به الناس ..

وهكذا حرفت الكتب السماوية .. واضيف إليها ما لم يأمر

به الله .. وما لم ينزله .. وحذف وأخفى منها ما أمر به الله ..
فأصبحت لا تقى بغرض الهداية .. ولكن عندما نزل القرآن
الكريم .. منعت الشياطين من استراق السمع .. وحفظ الله
القرآن من أى تغيير أو تبديل ..
هذا هو الاضلال .

أما قول الشيطان «لَأْمْنِيَهُمْ» .. فإن الشيطان يزين
للإنسان المعاصي .. التى يتمنى أن يفعلها .. ويصور له أنها
ليست معصية ولكنها خير ..

أما مسألة الأنعام وتغيير خلق الله .. فإنه من تمام الخلق هو
ما خلق الله سبحانه وتعالى .. فكل خلق لله له مهمة فى
الحياة .. خلق ميسرا أن يؤديها .. وتغيير هذا الخلق هو إفساد
لهذه المهمة ..

ان الذين كانوا يشقون آذان الأنعام .. على أساس أنها
للأصنام وخدامها .. خرجوا بخلق الله عن مهمته ..
فالأنعام هى متاع للإنسان .. يحمل عليها أثقاله .. ويأكل
لحومها ويأخذ جلودها وأصوافها .. ولكنها لا تفيد الأصنام
شيئا .. فكأن الشيطان يريد أن يخرج خلق الله عما خلقوا من
أجله .. ويستعين فى ذلك بقرنائه ..

وإذا نظرنا الآن .. الى بعض التجارب التى تتم كأن يأتوا
بقدم كلب ويزرعونها فى جسد ضفدعة .. أو غير ذلك مما
يتم .. نقول لهم ماذا تستفيد الإنسانية .. من ضفدعة لها
قدم كلب .. الضفدعة لها مهمة فى الدنيا خلقت من أجلها ،
وخلقها بالطريقة التى خلقت بها هو من تمام أداء مهمتها ..

ولكنك جئت لتفسد هذه المهمة دون أن تفعل شيئا . . . وكذلك كل التجارب التي تتم . . . فينتج عنها إنسان مشوه . . . تقول أفسدت خلق الله . . . ولم تستفد شيئا . . . وكذلك بالنسبة لكل العبيث الذي يتم للسيطرة على العقل البشري . . . إنما يفسد مهمته في الكون .

الله سبحانه وتعالى . . . إظهارا منه جل جلاله . . . لتفاهة ما يمكن أن يفعله الشيطان . . . نخبرنا بأن الشيطان . . . يستعمل سلاح الخوف ليستعبد الإنسان . . . فيقول جل جلاله .

﴿ إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ وَقَلَّ الْمُتَخَفُونَ
وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

الآية ١٧٥ سورة آل عمران.

كيف يسيطر الشيطان على الإنسان بالخوف ؟ . . . إذا تصدق الإنسان خوفه الشيطان من الفقر . . . وإذا أراد أن يقول كلمة حق . . . خوفه الشيطان من بطش رؤسائه الظالمين . . . وإذا أراد أن يقوم للصلاة . . . خوفه الشيطان من أنه سيضيع منه كذا وكذا من مصالح الدنيا . . . وإذا قام ليجاهد في سبيل الله . . . خوفه الشيطان من قوة الكافرين وأدخل في نفسه . . . أنه سيقتل عند بدء المعركة . . . وإذا أراد أن يسعى في خير . . . خوفه الشيطان في أن ذلك سيضيع وقته ومصالحه . . . وإذا أراد أن ينهي عن متكر . . . خوفه الشيطان من أن ذلك سيجلب عليه الإذى . . .

وهكذا كل خير يخطر على النفس . . . يخوف الشيطان

الانسان من أنه سيقع عليه ضرر .. في ماله أو نفسه .. أو أولاده أو وظيفته أو تجارتته .. أو ما يهمه من أمور دنيوية .. وبهذا السلاح - سلاح الخوف - يلقي الشيطان الرعب في نفس الانسان من ناحية الخير .

على أننا قبل أن نختم هذا الكتاب .. لا بد من وقفة عن الانبياء والرسل والشيطان .. هناك حكم عام وخصوصية مع عدد من أنبياء الله ورسله .. الحكم العام هو قول الله سبحانه وتعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِمْ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾

الآيتين ٥٢ و ٥٣ سورة الحج .

نقول ما هي أمنية كل رسول .. أمنية كل رسول هي أن يتشر منهجه .. ويؤمن به الناس .. وينجح في إصلاح حركة حياتهم .. وجذبيهم للإيمان .. وتركهم الكفر .. هذه هي أمنية الرسول .. ولكن هل يترك الشيطان الناس يستمعون للرسول ويؤمنون برسالاتهم ؟ .. لا إنه يقف لهم ليصلحهم عن منهج الله .. وبدأ بالترفين الذين سيضرهم المنهج في نفوسهم الدنيوى .. فيجعلهم دعة له .. يقاتلون الرسالات ..

ويضعون العراقيل... ويعذبون من آمن حتى يكفر...
ويتصدون للمؤمنين بالإيذاء...

ولكن... هل يظل الباطل منتصرا؟... لا... إن الله
تبارك وتعالى... ينسخ ما يلقي الشيطان وينصر رسوله...
فتنجح الدعوة ويزداد عدد المؤمنين... هذا هو معنى الآية
الكريمة... الرسول يتمنى أن ينجح في مهمته... ولكن
الشيطان يحرض العصاة والكافرين ضده... وتنتهي المعركة
بانتصار الرسول على الشيطان.

على أنه ورد ذكر الشيطان بالنسبة للرسول في أكثر من آية...
في قول أيوب عليه السلام :

﴿ أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِضَبٍّ وَعَذَابٍ ﴾

من الآية ٤١ سورة ص.

وقول يوسف عليه السلام :

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾

من الآية ١٠٠ سورة يوسف.

وقول الحق جل جلاله :

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾

من الآية ٤٢ سورة يوسف.

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أَنَسْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾

من الآية ٦٣ سورة الكهف.

وقول موسى ايضا عندما وكز الرجل وقتله :

﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾

«من الآية ١٥ سورة القصص»

وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر . . ونقول ان كون الانبياء معصومين . . لا يعنى أنهم ممنوعون من جهاد النفس ، بل لابد ان يبقى لهم شيء يجاهد كل منهم به نفسه . فالرسول نفس بشرية . . فيها نوازع وشهوات ، يتغلب عليها بجهاد نفسه . واذا لم يكن لنفوس الانبياء أمور ومواقف يجاهدونها . . لكانوا ملائكة .

لقد جعلهم الله سبحانه وتعالى بشرا حتى يكونوا قدوة للمؤمنين بهم في كفاح الشيطان ، وكفاح النفس والتغلب عليهما . ولذلك سمى بعض الانبياء بأولى العزم . والعزم هنا معناه . . العزم في طاعة الله ومحاربة الشيطان .





ونصر الله رساله

أما بالنسبة لموسى عليه السلام .. فعندما ضرب الرجل وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة بعد .. ولكن كان فيه الايمان والتقوى .. فتنبه في الحال إلى أن ما عمله هو من عمل الشيطان .. واتجه إلى الله سبحانه وتعالى .. طالبا المغفرة والتوبة .. أما قوله عليه السلام : « وما أنسانيه إلا الشيطان » .. فمعناه أن الشيطان .. حاول أن يوسوس لموسى .. فتنبه موسى عليه السلام .. وتخلص من وسوسة الشيطان ..

أما بالنسبة ليوسف عليه السلام .. فإن قول الحق تبارك وتعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه » .. فهو يحمل معنيين .. أن يكون الذى خرج من السجن أنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند عزيز مصر ، فلبث يوسف في السجن بضع سنين .. وإما أن يكون يوسف هو الذى نسى .. ولكن المعنى الأقوى هو أن الشيطان أنسى ذلك الذى نجا أن يذكر يوسف عند عزيز مصر .. ويطلب منه إخراجه من السجن .. وسبب ذلك بقى في السجن بضع سنين ..

ويؤكد هذا أن يوسف قال للرجل « أذكرنى عند ربك » .. أى عند الملك الذى أنت ذاهب إليه .. وقل له هناك مظلوم فى السجن .. أحواله كذا وكذا .. ومن هذا نفهم أن الآية

لا تعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله تبارك وتعالى .

أما قول «أيوب عليه السلام» : «أنى مسنى الشيطان
بنصب وعذاب» .. فقد كان أيوب يشكو لربه .. أن
الشيطان يوسوس له .. ويقول كيف وأنت نبى تصيبك كل
هذه الابتلاءات ؟ .. كيف تعرض ويحدث لك ما حدث ..
من فقد للأولاد .. ومعصية من الزوجة وغير ذلك .. ألم يكن
من الواجب أن يكرمك الله سبحانه وتعالى .. لأنك نبى ..
ويمنع عنك كل هذا ؟ .. ولكن أيوب عليه السلام .. الذى
أتعبه وأصابه كلام الشيطان بعذاب نفسى .. لم يلتفت إليه ..
ولمّا اتجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء .. يطلب منه أن
يذهب عنه ما هو فيه .. واستجاب الله جل جلاله لدعائه .

وهكذا نرى أن إبليس .. حاول أن يقترب من أنبياء
الله .. كما شارك فى تدبير خطة محاولة قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى يوم الهجرة .. ولكن الله جل جلاله عصم
الأنبياء والرسل منه .. ونصرهم عليه .

على أننا لا بد أن نتعرض للحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذى يقول فيه : (أن الشيطان يجرى فى الإنسان مجرى
الدم) ذلك أن بعض المستشرقين يحاول التشكيك فى هذا
الحديث ..

ونقول لهؤلاء المشككين الذين يحاولون أن يجدوا ثغرة
ينفثون من خلالها سمومهم - وهيهات - ان الدم فيه مكونات
كثيرة تجرى فيه .. منها الحديد والفوسفات والكالسيوم ..
وغير ذلك من المكونات التى أظهرتها لنا التحاليل الحديثة ..

بل ان الميكروبات والجراثيم - وهى جسم مادي - تخترق الجلد
وتدخل الى الدم . . وتظل فيه فترة حضانتها حتى تتكاثر . .
وتقوم بينها وبين كرات الدم البيضاء معارك . . والشيطان ليس
مخلوقا من مادة الطين . . بل هو مخلوق من مادة اكثر
شفافية . . وهو غاية فى اللطف والدقة . . فكيف نستكثر أن
يخترق الجلد ويجرى فى الدم كما تجرى عشرات المواد الصلبة
ونحن لا نحس بها .

نسأل الله ان يعصمنا من الزلل . . والا يجعل للشيطان على
قلبنا من سبيل .



الفهرست

صفحة

الفصل الأول

- من هو الشيطان ٢
- وصف الشيطان ٦
- بداية المعصية ١١
- حقيقة ابليس ١٣
- لا فضل لعنصر على آخر ١٦
- سقط في الغواية ١٩

الفصل الثاني

- معصية الشيطان ٢١
- الكبرياء لله وحده ٢٤
- الدنيا دار اختبار ٢٨
- على أبواب المساجد ٣١

الفصل الثالث

- آدم والشيطان ٣٧
- ليست جنة الخلد ٤٠
- أول مناهج السماء ٤٤
- بداية المعصية ٤٨
- وظهرت عورة الإنسان ٥١

الفصل الرابع

- معصية آدم .. ومعصية ابليس ٥٧

الفصل الخامس

- مدخل الشيطان إلى الإنسان ٧١
- الفرق بين الوسوسة والفتنة ٧٥
- البحث عن القبيح ٧٨
- الوسوسة في الصلاة ٨٠
- تنويع عنصر الشيطان ٨٤
- التكلم وليس التكرار ٨٧

الفصل السادس

- الشيطان وجنوده ٩١
- الشيطان في بدر ٩٤
- لا عذاب على القهر ٩٧
- ونصر الله رسوله ١٠٦